

عسل مع لبن  
و  
حرير على بدن

الدكتور سليمان العليمات

## حقوق الملكية (2021)

جميع الحقوق محفوظة، لا يجوز نشر أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عن أي طريق، سواء كانت إلكترونية، أم ميكانيكية، أم بالتصوير، أم بالتسجيل، أم بخلاف ذلك دون الحصول على إذن المؤلف الخطي، وبخلاف ذلك يتعرض الفاعل للملاحقة القانونية بمقتضى قانون رقم (22) لسنة 1992 (قانون حماية حق المؤلف)، والقانون المعدل رقم (8) لسنة 2005 (قانون معدل لقانون حماية حق المؤلف).

الطبعة الأولى 2021 ميلادي-1442 هجري

المملكة الأردنية الهاشمية  
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية  
(٢٠٢١/٥/٢٧٨٩)

٨١٣,٩

العليمات، سليمان محمد خلف  
عسل مع لبن وحرير على بدن / سليمان محمد خلف العليمات -.  
عمان: المؤلف، ٢٠٢١

( ) ص.

ر.إ.: ٢٠٢١/٥/٢٧٨٩.

الواصفات : /القصص العربية//الأدب العربي//العصر الحديث/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

# عسل مع لبن و حرير على بدن

الدكتور سليمان العليمات

( مجموعة قصصية متوسطة وقصيرة وقصيرة جداً )



## تتويه

جميع الشخصيات في هذه المجموعة القصصية من وحي الخيال، وإن صدف حاكت شخصية حقيقية فهي صدفة موقفة.



الإهداء

إليها ثمَّ إليها فإليها  
إلى الرَّائِعَةِ أُمَّ نَائِلٍ



## المحتويات

- |     |                                      |
|-----|--------------------------------------|
| 11  | 1-مونتني                             |
| 89  | 2-برقع                               |
| 93  | 3- النبي يوشع                        |
| 99  | 4-هكذا تزاح الكراسي                  |
| 105 | 5- عندما يكون القمر شاهداً           |
| 109 | 6- بعد شهر العسل                     |
| 113 | 7- عندما يطرق الحظ بابك              |
| 117 | 8- عندما لا يطرق الحظ بابك           |
| 121 | 9- مستر طوني                         |
| 127 | 10- مستر جوردان                      |
| 133 | 11-عندما يفسر عزيز أسماء الله الحسنى |
| 139 | 12- أبو الطورو وأم الطورو            |
| 149 | 13- "بَحْزِي" يا روزا                |
| 153 | 14- الشيخ والمسدس                    |
| 157 | 15- أحلام اليقظة                     |



-1-

مونتې

لا أذكر ملامح أبي جيداً، مات رحمه الله تعالى وأنا صغيرة، لم يكن ريشي قد اكتمل بعد. عصفورة كأن لا ريش ولا عظم لها.

قالت أمي إنه كان كثير السفر. عمله يتطلب منه ذلك. في الحقيقة هذا ما أذكره منه. يغيب طويلاً، فإن عاد، عاد حاملاً معه الدنيا لي .

هكذا كانت أيام بين حضور أبي وغيابه. أما حين يعود، فكأنما جلب لي الدنيا بأسرها. هدايا وألعاب من كل شكل ولون، كثيرة وجميلة.

لا زلت أذكر احتفالاتي الليلية مع كل ما يحضره لي أبي. احتفالات تشاركني فيه أرواح ألعابي كلها. فألعب معها وتلعب معي. كانت احتفالات لا تنتهي. نقيمها أنا وألعابي فوق سريري، حتى إذا ما تعبت ونمت حرسنتي ألعابي حتى الصباح، لأفيق على أصوات شَعْبِها هي وصوت أمي، وضجيج أخي منصور، منصور الذي يكبرني بعامين، الذي كنت أرى في عيونه غيرته من الدلال الذي يخصني به أبي دونه.

ما زلت أذكر يوم حملني أبي، أنا ولعبتي، من تحت درج أحد الجيران، وقد بدى على ملامحه الرعب. حينها كنت قد نمت هناك ساعة، على غفلة مني، وكان أبي قد عاد من السفر للتو، فلما سأل عني لم يجدني .

- كان يوماً صعباً على والدك.

هذا ما قالت لي أمي بعد سنوات، وهي تسرد لي القصة.

في إحدى المرات، كان قادماً من لندن، كعادته محملاً بهدايا، لي فيها نصيب الأسد. كانت هذه الألعاب كنزي الثمين، وحديث صديقاتي في الحي. صديقاتي اللواتي كنت ألهو معهن طوال الوقت، حتى إذا ما

نادتني أمي عدت إليها، لكن بعد أن يكون صوت والدتي قد نبّه جيراننا كلهم.

-مونتني... والدتك تنادي عليك.

هذه صديقتي سحر، التي اعتدت أن ألعب معها ومع غيرها من بنات الحارة.

لم تكن سحر بحاجة إلى ان تنبهي أن أمي تناديني. كنت أسمعها جيداً. لكنها ربما براءة الأطفال .

هكذا رسمت لي أمي صورة أبي وقد عاد إلى البيت، فسأل عني، فلم يجдени، قالت :

-كانت لحظات صعبة على والدك.

كان قد جاء باكراً إلى المنزل في فترة الغداء، ولما لم استجب لنداءاته سأل أمي عني، فأجابته أنني في الغالب ألعب مع بنات الجيران في منزل إحداهن .

تقول أمي أن والدي حينها لم يصبر حتى أعود وطلب منها احضاري، فلما لم تجдени في ساحة المنزل، بدأت تطوف منازل صديقاتي، لكنها لم تجдени كذلك، فبدأ القلق يساورها .

- أين يمكن ان تذهب!؟

حينها، بحثت عني أمي في كل مكان، ثم عادت إلى المنزل لعلي كنت ألعب في أحد زواياه، لكنها لم تعثر علي. فعادت إلى والدي والرعب يأكلها، فما كان منه إلا وخرج من المنزل، كالملدوغ بحثاً عني. صار يفتش في كل الأماكن المتوقعة وغير المتوقعة من دون جدوى. ومرت

ساعات من رعب عليه، وعلى الأسرة، حتى اشترك الجيران في البحث عني.

- مونتي .. مونتي.. مونتي

أنداك، لم يترك أبي زاوية إلا وبحث فيها عني، هو ومجموعة من الجيران. لقد كنت في الحي الطفلة المدللة، والجميع يناديني، بهذا الاسم "مونتي"، وهو الاسم الذي جرى اشتقاقه من اسم "أمينة" اسمي في شهادة الميلاد.

عندما ولدت، كان أبي فرحاً جداً. قالت لي أمي: إن فرحته لا توصف، فرحة تغمرها البشاشة والسرور، فرحة تخالطها نشوة النصر على شيء ما في الحياة ومرارة الخوف من المستقبل .

أخيراً حضرت "مونتي". قالت أمي إن فرحه كان أكبر من فرحته عند زواجهما، وأكثر من فرحته عند ولادة أخيك منصور .

أذكر كلماته جيداً عندما رآك أول مرة :

- وأخيراً جاءت "أمينة"، سَمِيَّة أمي رحمها الله تعالى.

لم تفلح المحاولات الخجولة من أمي لثني والدي عن تسميتي بأمينة، باعتباره اسماً غير عصري، كما قالت له في حينه .

- لو أسميتها مثل باقي البنات.

رفض بشدة. تقول أمي. بل إنه راح يتفاخر بأنه سيطير غداً إلى صديقه المهندس خوسيه ويخبره بأن الله تعالى رزقه بأنثى.

- وما شأن صديقك خوسيه بنا؟

حينها، أخبرني عن حكاية الأمريكي من أصل كوبي، عندما سأل والدك عن أفراد العائلة، فأجاب:

- عندي ولد، وزوجتي حامل.

- إن شاء الله يرزقك ببنت، حتى تضمن صحن الرز مع الدجاج.

حينها استهجن والدي ما قاله الرجل وسأله عما يقصده. فأخبره أنه كان متزوجاً ورزقه الله تعالى بثلاثة ذكور، فلم يفرح بقدمهم كما فرح لقدم ابنته.

عندما أخبره الطبيب أن زوجتك أنجبت أنثى؛ بكى من شدة الفرح، وأقام حفلة ضخمة بمناسبة قدوم الضيفة الجديدة، حتى أثار دهشة زوجته، التي سألته عن سر كل هذا الفرح، الذي لم يكن يظهره عندما كانت تنجب له الذكور فأجابها:

- الآن قد ضمنت "صحن الرز مع الدجاج".

فردت عليه زوجته باستنكار واستغراب، رافعة حاجبها إلى الأعلى

- ماذا تقول يا رجل؟ ما هذا "صحن الرز مع الدجاج؟"

- يا زوجتي العزيزة، عندما يأتي أهلي لزيارتنا، لا ألمس ترحيبك بهم كما تفعلين عندما يزورنا أهلك، الذين تحضرين لهم كل ما لذّ وطاب، بينما لا تفعلين شيئاً من هذا عند زيارة أهلي، لهذا فرحت بقدوم ابنتي التي ستحتفل بي باحتفالك بأهلك يوم أزورها، ولهذا قلت الآن أضمن صحن الرز مع الدجاج.

لم تفهم أمي لم أصر والدي على تسميتي على اسم والدته، ولم كل هذا العناد في ذلك، أيعقل انه يريد ان يهرب منها؟ أهو هروب من واقع الزواج نفسه؟ لم تنبس أمي ببنت شفة، فهو السيد الأمر والسيد المطاع. أخبرتني أنها عندما أنجبت أخي منصور لم يقف عند اسمه. ولم يكثرث البتة. أمي هي من اختارت له هذا الاسم، أما والدي فلم يعارضها، واكتفى بأن قال لها: إن شاء الله سيكون من المنصورين في الدنيا والآخرة..

أما أنا فالأمر مختلف. عند مولدي تغيرت الموازين، واختلفت الحسابات، إنها ابنتي أمينة، أمونتي، مونتي. الأسماء التي طاف بها الحي بحثاً عني .

عندما كان الباحثون عني مشغولين بقلقهم وخوفهم علي، كنت في شأن آخر.

خرج أهل الحي بحثاً عن مونتي، وقد بدأت الشمس بالرحيل. خلال عملية البحث، جلس أبي متعباً على درج البيت يفكر أين اختفت هذه البنية، وأين يمكن أن تكون؟

دس يده في جيبه وسحب منه علبة سجائره. لم يكن حينها يستطيع التوازن، ويكاد يفقد عقله. وضع سيجارته بين شفثيه المرتجتين، وأمسك بالولاعة بكلتا يديه، لكنه لم يستطع السيطرة عليها، فسقطت على الأرض .

أنهار تماماً. سيجارته بين شفثيه تهتز من دون توقف، لا يستطيع السيطرة عليها، ولا على يديه المرتعشتين رعباً. كان الغروب قد حلّ بالفعل، فنصح أحد الجيران بإبلاغ الشرطة.

لم يكد الجار يكمل جملته حتى سقط أبي مغشياً عليه، فطار إليه الجار محاولاً إسعافه، فكانت المفاجأة.

خيال شيء ما تحت الدرج. هل يمكن أن تكون هذه مونتي حقاً؟! بعد أن عادت رفيقاتي إلى منازلهن، بقيت ألعب حتى نمت في مكاني. هناك تحت درج أحد منازل الجيران.

صار الجار يحاول إفاقة والدي، وهو يصرخ:

- أبو منصور.. أبو منصور، ها هي مونتي .

لم يستوعب والدي على الفور ما كان يقوله الجار، وما إن أفاق حتى قفز وهو يصرخ: "وينها".

للوهلة الأولى لم يصدق عينيه، هذه مونتي صغيرته نائمة تحت درج السلم، الجميع يبحث عنها وهي هنا تغط في نومها .

تناولني برفق، أيقظني وضمني إلى حضنه. وأسرع بي إلى المنزل غاضبة .

أما أنا فلا أذكر سوى غضب أمي علي، وهي تلتقطني منه، فصار والدي يهدأ من روعها وهو يقول لها: - طفلة صغيرة.. الحمد لله أن القصة انتهت على خير.

\*\*\*

## الصندوق الحديدي الكبير

من المشاهد التي ما زالت عالقة في ذاكرة الطفولة عندما أخذني والدي إلى الحج. ما زلت أذكر انشغال أمي بتجهيز حقائب السفر. في الحقيقة لم يكن هناك من حقائب كثيرة. لكني ما زلت أذكر الصندوق الحديدي الكبير الذي حملناه معنا.

لا أدري إن كان هذا الصندوق من مخلفات الحرب العالمية الثانية أم لا. لكنه كان كبيراً، وقديماً، وثمانياً للعائلة. عمدت والدي إلى وضع كل ما يمكن حمله فيه، وكان رحلة الحج هذه كانت بلا عودة.

صندوق يحوي الكثير ويكاد يستوعب كل شيء، حتى كان هناك متسع للألعابي التي أصبحت لا أستغني عنها.

لا أدري السبب الذي دفع والدي للإبقاء على أخي منصور عند بيت جدي والدة أمي، بابا علي. لم يكن في حينها أمراً غريباً علي، رغم أنني ما زلت لا أعرف السبب.

ضمّت حافلة رحلة الحج أغراب لا نعرفهم، وهذه ورطة بالنسبة إلى والدي، التي لم تكن من الشخصية الاجتماعية التي من السهل عليها كسب المعارف والأصدقاء.

في الحقيقة كان جل انشغالها اليومي بأسرتها وزوجها. امرأة مثل باقي نساء الكويت، متعلقة بزوجها حتى الموت، على أن لأمي خاصية الجدات.

لم تكن تبوح لأبي بمشاعرها، كأن ذلك ربما من قبيل "العيب"، لا أدري. كان حباً صامتاً لا بوح فيه، ولا همس.

حتى عندما كانت تودّعه وهو يهّمّ للسفر لم تجرؤ على لفظ كلمة حب واحدة خلال وداعه. كانت فقط تشيح بوجهها عنه حتى لا يرى دموعها التي تنسكب على خديها.

- "إن شاء الله ترجع بالسلامة"

هذه هي العبارة التي اعتادت على قولها في كل مرة. تذرف الدمع في الليالي الطويلة الموحشة على سفره وحيدة في غرفتها.

بالنسبة إلى أمي، فلم يكن أبي زوجاً فقط. وجوده يمنحها القدرة على الحياة والبقاء والشعور بالأمان. كان أبي لأمي الدنيا، وكانت الدنيا هي أبي.

كأنني غفلت عن أن أقول أن أبي من كبار موظفي شركة بترول الكويت الوطنية، لهذا كان عمله يستدعي السفر بكثرة. أما أمي فإن المرة الأولى التي خرجت فيها خارج حدود مدينة الكويت، فكانت هذه المرة التي ذهبنا فيها إلى الحج.

وصلنا إلى مكة المكرمة، جميع الرجال في لباس الإحرام الأبيض. في البداية كان والدي يحملني على كتفيه خلال تجواله.

هذه من المشاهد القليلة التي عقلت في ذهني حتى اليوم. أتذكر حينها كيف كنت أرى الناس من عل. لقد خط المشهد في ذاكرتي عميقاً من دون أن أعلم السبب، هو ومشهد آخر يوم أفقت من نومي في مكة المكرمة، فإذا بأمي تبكي. لم أشعر بالخوف كما خفت حينها، هرعت

إليها، وصرت أبكي، وعندما سألتها عن أبي، شهقت والدتي وصرخت  
بألم.

كانت تبكي فقط، من دون ان تتحدث بشيء. تبكي بحرقة. دموعها تسيل  
بغزارة.

- أين ذهب أبي يا أمي؟

لم تجبني، فصرت أصرخ بصوت عال:

-أريد أبي؟!!

ضمنتني إلى صدرها ودموعها تتساقط على وجهي. عرفت بعدها أن  
والدي مات .

عانى من ضيق التنفس ومن الربو المزمن، ومع الاكتظاظ وكثرة  
الحجيج هجمت عليه أزمة لم يحتملها فسقط .

لا شيء كان يقتلني من مشهد امي وهي تجلس قسوة عنا أنا وأخي  
وتبكي بصمت. كنت أسرع إليها وأقول لها:

- لا تبكي يا أمي، ألم تخبريني أننا سنرحل إليه بدورنا؟

هذا معنى الموت بالنسبة إلى طفلة صغيرة. إن من يموتون لا يعودون  
بل نحن من سنلحق بهم لاحقاً.

بالكاد كنت أتمس خطاي في هذه الدنيا، ومن دون أية مقدمات  
اصطدمت بفكرة الموت .

في هذه الرحلة رحلة الحج، لم أفهم أمرين: فكرة الموت، وهذا مفهوم، إضافة إلى إخفاء والدتي عن كانوا يسألونها عن زوجها انها أصبحت أرملة.

لم أعرف السبب في حينه. لكني عندما كبرت قدّرت أنها كانت حيلة لحمايتها من الناس. لقد وضعت سرّها هذا في الصندوق الحديدي الكبير، وأغلقت عليه نهائياً.

امرأة صغيرة وجميلة، وسيطع بها كل ذي مرض. والمرضى كثير. لهذا أخفت سرّها في صندوقها الحديدي، حيث كل تملك من أموال وذهب وجواهر.

لا لا وهي الملكة غير المتوجة. شجرة الدر لا تحمل سبباً أثقل من السبب الذي تحمله أمي. فتصرفت بحكمة وخرجت من هذا المأزق أمنة، برغم كل الحزن والهموم الذي كانت تجتاحها.

تمالكت أمي نفسها ومسحت دموعها، وأخبرت الجميع أن أبي ذهب لتوزيع المعونات على الحجاج المحتاجين من الدول الفقيرة وأنه سيعود قريباً.

ومع انتهاء اليوم الثاني من أيام التشريق، استأجرت أمي سيارة بيك أب وحملت جثمان أبي لدفنه في مدينة الكويت.

\*\*\*

## اليتيمة

كبرت في كنف جدي. صرت فتاة بعمر المدرسة. كانت أمي قد تزوجت بعد وفاة والدي بعامين. وأنجبت "رنا"، أختي، التي سميت تيمنا باسم لعبتي المفضلة .

- غداً يا حبيبتي مونتي سيكون أول يوم لك في المدرسة. لقد اشتريت لك زي المدرسة، كل البنات في صفك سيرتدونه مثلك تماماً، الفرق الوحيد أنك الأجمل بينهن .

كان هذا بابا علي وهو يقدم لي فرحاً فستاناً جميلاً.

بالفعل كنت مرعوبة من الرهبة التي تملكنتني في أول أيام المدرسة. إلا أن أمي طمأننتني أن هناك الكثير من البنات في الصف بمثل عمري وسوف يكون عندي صديقات كثيرات.

سريعاً اكتشفت أن ما قالته لي أمي كان دقيقاً. جلست بجانب فتاة تدعى هيام، خجلة مثلي، على أننا اعتدنا على بعضنا سريعاً.

اعتدنا أن نكون معاً باستمرار. في الساحة وعند تناول طعام الغداء. وهذا ما لاحظته الطالبات .

يوماً ما مررت أنا وهيام من مجموعة من الفتيات، فإذا بإحداهن تقول :

- شوفي هالبنتين دائماً مع بعض، ربما يا حرام لأنهما يتيمتان .

كلمة يتيمة من الكلمات التي عرفت معناها مبكراً. لم أتمالك نفسي حينها وبكيت .

عند عودتي قلت لبابا علي ما جرى. فحاول اللعب بالكلمات شارحاً لي الأمر بصورة ربما أعاننتي بعد ذلك، على المضي في الحياة بضغط أقل، وكأنني حينها مارست خداعي على نفسي. قال:

- ليس اليتيمة من فقدت أبويها أو أحدهما، بل هي اليتيمة في تفكيرها وضيق أفقها وعدم إدراكها لمجريات الأحداث والسير بخطى ثابتة في معركة الحياة.

\*\*\*

## الثاني من آب 1990م

الثاني من آب من عام 1990م لم يكن يوماً عادياً. لهذا الجرس المزعج الذي كان يرن في جماجمنا داخل المنزل لم يكن استثنائياً في هذا اليوم. نحن في العطلة الصيفية، فقد أنهيت المرحلة الإعدادية وبلغت الخمسة عشر ربيعاً من عمري. وفي العطلة الصيفية عادة ما أنهض من فراشي في وقت متأخر من النهار .

أفزع أمي جرس المنزل. شخص ما لا يكف عن دقه في رؤوسنا. جاءت أمي مسرعة نحوي، وطلبت مني رؤية من على الباب.

قمت على غضب من هذا المزعج الذي لا يتوقف عن دق رؤوسنا، ونزلت على عجل الى الدرج. وعندما فتحت الباب لم يكن الجرس أقل غرابة مما تفوه به صاحبه.

جارنا أبو راشد ألامي في توتر شديد. وبدأ بالصراخ :

-صواريخ...صواريخ...كبيرة...هناك صواريخ احذروا...الكويت...  
الكويت ...

كان الرجل يهذي. ما هذه الصواريخ التي يهذي بها أبو راشد .

- لا تخرجوا من البيت حتى نعرف ما يجري.

نظرت الى الخارج. لا شيء استثنائي. لم تهبط علينا كائنات فضائية لاحتلال الأرض. فابتسمت لهذا الذي يبدو أنه جنّ.

- عمي أبو راشد مابك؟ ما هذه الصواريخ التي تتحدث عنها .

لم يصبر عمي أبو راشد على جهلي، فتركني وغادر. فأغلقت الباب بدوري وعدت إلى الداخل.

- هذا جارنا أبو راشد يبدو أن مسأً أصابه. يقول إن هناك صواريخ مصوبة نحو بيتنا، وأن علينا أخذ الحيطة والحذر.

لم تتكلم أمي. كانت تسمع وكأنها تسعى لترجمة المعنى. لكن الجرس قرع مرة أخرى. فبدأ الغضب ينتابني:

- لا بدّ وأنه أبو راشد مرة أخرى

نزلت إلى الباب، وبالفعل كان عمي أبو راشد .

- ماذا جرى للصواريخ هذه المرة يا عمي أبو راصد؟

- راصد؟ حسناً... ما في غيرك بالبيت؟ أخبريهم أن الصواريخ قادمة نحونا.

- والله شئت تفكيري يا عمي، طيب. سأخبرهم يا عمي يا أبو راشد .

أخبرت أمي أن أبو راشد يكرر نفس الجمل، أكيد بدأ يخرفن بعد أن فقد زوجته .

طلبت أمي مني أن أذهب إلى البقالة لأشتري لها بعض حاجيات الافطار .

لم يكن أبو راشد يهذي. إن شيئاً مريباً حقاً يحدث. لم يمهلني الحدث خطوات قليلة خارج المنزل، حتى عرفت أن شيئاً ما يجري بالفعل.



- جنود... جنود في الشارع... الجنود في كل مكان.
- ما الذين تقولينه يا بنت... أيش جنود؟
- هرعت أمي إلى النافذة ولحق بها أخي.
- هناك جنود في كل مكان حول المنزل. وأمروني بالعودة.. المنطقة بأسرها كأنها صارت محتلة .
- يا حسرتي، ما الذي يحصل؟ ماذا يجري هنا؟
- مااااا انا خائفة.
- منصور ابتعد عن النافذة.
- افتحوا التلفاز.. هل لدينا راديو؟
- ركضت إلى غرفة بابا علي وطرقت الباب بقوة واستمرار، ناديت عليه بأعلى صوتي:
- بابااااا...بابا علي استيقظ...هناك مصيبة... شيء ما يجري في الخارج. كارثة حلت بنا .
- من بعيد قال بصوت خافت:
- أنا قادم مونتي.
- ساد الصمت المكان. بتنا نخشى أن نصدر صوتاً نثير فيه من في الخارج. لكن من في الخارج؟

أغلقت أمني الستائر، وبدأت تراقب من خلفها. الدبابات وحولها الجنود ينتشرون في كل مكان. وسيارات تطير من أمام البيت بصوت مزعج يدل على أن هناك خطباً عظيماً.

مشهد أظن حتى في الكوابيس أنه يمكن أن يكون حقيقياً. دبابات وجنود في حيناً؟ لم؟ لم كل هؤلاء الجنود المدججين بالسلاح.

تمر دبابات من أمام البيت، ويظهر منها رأس جندي يرتدي خوذة بالكاد يظهر رأسه من فوهة في منتصف الدبابة، يحرك مدفعها إلى الأعلى ثم يخفضه إلى الأسفل ثم يحركه يمناً ويسرة.

- ما زلت في شك من كل هذا. ربما هناك تصوير فيلم سينمائي أو مسلسل تلفزيوني. لا يعقل أن يكون هذا حقيقياً.

- والله يا جماعة هذه الكاميرا الخفية. ما في أحلى من ديرتنا حتى يعملوا فيها هذه المقالب ويصوروا المشاهد، ربما في رمضان القادم نرى هذه المقالب على شاشة التلفاز.

تذكر بابا علي التلفاز. فهرع إلى الصلاة. أداره وكأنه يتمنى أن يطل في الشاشة مسلسل ما، وليس أي شيء آخر. فتح التلفاز لكن القناة الوطنية كانت سوداء اللون. بلا صوت ولا صورة. ثم ظهرت صورة ألوان قوس قزح.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم... ماذا هناك؟ ما الذي يجري؟

حاول مرة أخرى، من دون أن يفلح .

فجأة تذكر الراديو. فأسرع إلى غرفته. وإذا بصوت المذيع يعلن الأمر الجلل. فبدأ بابا بالبحث كالمذوغ بين المحطات حتى عثر على صوت

مذيع يقول: هذه إذاعة الكويت الحرة تبث من أراضي المملكة العربية السعودية.

- يا ويلي... العراق احتلنا.

صرخ بابا علي.

- يا للمصيبة!...يا للكارثة!...يا للخزي!...يا للعار؟

هل قامت القيامة؟ أيعقل أن يقترف العراق حماقة مثل هذه؟ ومن أجل ماذا؟ من أجل حفنة من الدولارات. تباً لهم، وتباً لكل من سوّلت له نفسه احتلال الكويت. ولدنا وكبرنا في ديرتنا، كنا كافيين خيرنا وشرنا عن جيراننا وجيران جيراننا .

الكويت التي فتحت ذراعيها لكل العرب، الكويت التي كانت ملجأ لكل من لفظته بلاده من الأصدقاء والأصدقاء. حركات التحرير العربية الثورية انطلقت من الكويت، وحركات التحرير الثقافية أيضاً انطلقت من الكويت .

ربما تكون الكويت صغيرة في حجمها ومساحتها لكنها بالتأكيد كانت وما زالت، وستبقى، رقماً صعباً لا يقبل القسمة أو الانشطار في الشؤون العربية والإقليمية والعالمية .

صار بابا علي يصرخ فينا، حتى خشيت والدتي أن يسمعه أحد في الخارج. رجته أن يخفض صوته، لئلا يسمعه "المجرمون" الذين في الخارج. فسقط على الكرسي يبكي.

لقد واصلت أمي المراقبة من خلف ستار النافذة. وكأنها تراقب يوماً بدأ العرب به يؤرخون للكارثة التي حلت بهم. كارثة كانت تأسيساً لتخريب تدريجي ممنهج للأمة الإسلامية والعربية .

هكذا بعد سنين من الكارثة عرفنا أنها التي هوت بالعرب في منحدر سحيق ما زالوا يهونون فيه إلى اليوم من دون توقف.

لم ينته الأمر عندما تحرر الكويت. وبإلته انتهى. عرفنا لاحقاً كيف أن هذا اليوم ستلوه أيام سوداء، انهارت فيها دول، وانشطرت دول، وترنحت أخرى.

صار المشهد اليوم أكثر وضوحاً. كان والدتي تراقب من خلف الستار يوماً سيغير ملامح العرب إلى الأبد.

لا وجه آخر في هذا الغزو. غزو يؤرخ نفسه باعتباره القفزة التي وضع فيها العرب أنفسهم على شفا جرف هار، ثم قفزوا جميعاً.

لم تكن نافذة أمي مجرد نافذة. كانت طاقة استشرفت جحيم العرب. صحيح أن الأمر بدأ في الكويت. لكنه لم ينته فيها. مضت حمم البركان تجول في الشوارع العربية واحداً واحداً.

عندما سأل أحدهم بابا علي يوماً بعد أن تحررت الكويت عن رأيه قال :  
- عادت الكويت ولم يعد العرب.

هكذا اختصر بابا علي كل الحكاية. حكاية عرب لم يعودوا كما كانوا منذ ذلك الحين. بل ويواصلون السقوط تلو السقوط، حتى إذا ما قال قائل إن السقوط توقف سقط العرب أكثر.

هذا ما كان قد جرى لاحقاً. لكن الذي وقع في ذلك اليوم وبعده، كان علامة من علامات العار .

كان أمراً محزناً رؤية الناس تغادر الكويت، وقد أزف موعد الرحيل. مشهد مؤلم لم يظن أحد أنه كائن في يوم من الأيام .

تلك الكويت التي نهضت بالعقل العربي قبل محفظته. تلك التي استوطنها القلب قبل الجسد. تلك الكويت شيّدت للعرب ثقافتهم المعاصرة، قبل أن تعمّر للعرب أبراجهم.

جموع الراحلين عنها بدأت بالدبيب، على وقع ظروف استثنائية لم تتوقف عند حد. هذا هو الخراب بعينه. فوقع كل محذور، ومنه نهب البيوت التي غادرها أهلها هرباً بدمائهم وأعراضهم.

عندما أعلنت أخبار إذاعة الكويت الحرة أن الحرس الجمهوري يسمح له استباحة القصور فقط، بينما الجيش الشعبي مخول له باستباحة بقية المنازل؛ ردّ أحد أفراد الجيش الشعبي "إن كل منازل الكويتيين قصور، ماكو فرق عيني."

الكل كان ينام على رعب، ويفيق على كوابيس لا نهاية لها .

\*\*\*

## المضطر

لم يكن الخروج من الكويت سهلاً. حاولت أمي ثني بابا علي عن قراره، لكنها فشلت.

بدأ الأمر عندما وردنا خبر الحكم على خالي إبراهيم بالإعدام من قبل قيادة البعث العراقية .

خالي يعمل رئيساً لهيئة المفوضين لدولة الكويت في الأمم المتحدة، وناضل بشراسة ضد الغزو العراقي، فحكم عليه بالإعدام.

ولأن كل الاحتلال ظلم، ولأن كل الغزو ضلال، صارت مجرد صلات الدم مع خالي تهمة تستحق الإعدام أيضاً. ولا يتوقف القرار عليه وحده، بل يشمل كل أفراد عائلته بل وربما حراسه وحتى حلاقه.

كابوس صار يلاحقنا، ليل نهار .

قرر بابا علي الخروج من الكويت، فاحتجت أمي:

- لماذا نخرج من الكويت؟

لم يجد نفعاً كل محاولات أمي تغيير قراره.

- هل سنكون في مأمن خلال رحلة الخروج؟

- ما الذي سيحدث للبيت بعد خروجنا؟

- هل سنغادر وحدنا؟

- ماذا سنأخذ معنا؟

- هل علينا إخفاء ممتلكاتنا الثمينة التي لا نستطيع أخذها معنا؟

- إلى متى سنغيب؟

أسئلة لا تنتهي انهالت فيها أمي على بابا علي، وهو صامت لا يكاد وجهه يعبر عن شيء. إنه في عالم آخر. عالم من الغضب، والتوتر، والخوف علينا. انفجالات لا حصر لها في داخله جعلته يصمت أمام كل هذه الأسئلة التي انهالت عليه.

فجأة يقع انفجار قريب من منزلنا. نظر بابا علي إلى أمي، وكأنه يقول لها إن هذا الانفجار هو إجابة لكل الأسئلة التي لديك.

صرخت والدتي، وانزوت في ركن من رعب لا ترى منها إلا ملامح الذعر.

- جهزوا أنفسكم للرحلة.

لم تستجب والدتي. هذه المرة ليس لأن لديها أسئلة تريد إجابات عليها. كان خوفاً مما يجري، يقطعه بين الفترة والأخرى كلمات غير مفهومة لها، ثم يعود الصمت من جديد.

حتى هدير السيارات القادم من الشارع صار مدعاة للخوف. أصوات المركبات العسكرية، وإطلاق نار متقطع.

قفزت أمي من مكانها وأسرعت نحونا، وهي تطلب منا الاختباء .

- لكن أين نختبئ يا أمي!

ربما لا يهم. المهم أن نخفي أرواحنا عن كل هذا الموت في خارج البيت .

فجأة تنتابها نوبة بكاء هستيرية، ثم تهدأ من التعب، ثم تعود مجدداً للبقاء .

- متى سنغادر؟

سألت أمي بابا علي مستسلمة.

- سأرى ما يمكن أن أفعل. يجب قبل أن أتحرك أن نعثر على رفقة جماعية.

أخبر بابا علي بعض الجيران الذين يثق بهم أنه ينوي وأسرته مغادرة الكويت، فأبدوا رغبة بمرافقته .

- لا ضمانات للسلامة في هذه الرحلة.

- ندرك جيداً هذا. كما لا ضمانات سلامة بالبقاء هنا.

أخبرهم أن السيارات يجب أن تكون بدفع رباعي، وأن هناك مخاطر محتملة يمكن أن تواجههم خلال الرحلة، ومن بينها الموت .

لم يمض سوى يومين حتى كانت قافلة منست سيارات دفع رباعي متجهة نحو السعودية .

ساعة الصفر بعد أذان العشاء، إلا أن المعضلة هي في كيف يمكن أن نتجاوز الحواجز التي يضعها الجنود في الطرقات.

المسافة غير بعيدة عن الحدود السعودية، لهذا يمكن أن نمر من هذه المغامرة بسلام .

كان أول حاجز نمر منه سهلاً. خلال وقوفنا عليه طلب أخي منصور من أحد الجنود الحصول على العلم العراقي منه، فرحّب الجندي بذلك،

ولما انطلقنا من الحاجز أخرج منصور يده من النافذة وبيده العلم وبدأ يلوّح به.

توقعت أن يعترض أحد على ما يقوم به منصور، لكن لم يعلق أحد بكلمة.

نظر بابا علي إليّ من مرآة السيارة. لم تكن عيونه تخبر عن شيء واضح. لكنني فهمت.

عندما تجاوزنا جميع الحواجز، طلب منصور من بابا علي التوقف، ثم ترجل من السيارة، وهو يقول:

- إن شاء الله نلتقي قريباً في الكويت .

سمعت صوت امي تصرخ عليه من السيارة الأخرى:

- وين رايح يا منصور؟

- رد عليها بصوت جهوري:

- سألتحق بالمقاومة الكويتية.

لم تجب. ماذا يمكن أن تقول؟ لم تقل شيئاً، بل نزلت هي الأخرى من السيارة، وقالت إن وجودها معه سيحميه لأنها امرأة.

ذعرت للمشهد. نزل زوج أمي وأختي رنا وحاولنا ثنيها من دون جدوى.

- أمي ما الذي تقولينه. منصور سيلتحق بالمقاومة، فماذا ستفعلين أنت؟

- لا أستطيع تركه يا بنيتي. عندما يصل إلى الشباب هم يمكن من سينقلونني إلى الحدود السعودية.

كانت مشاعر مختلطة بين الخوف عليه والفخر به. عندما كانت السيارات تتحرك تابعت منصور، وهو يبتعد ويبتعد حتى تحول إلى مجرد خيال.

كأن قلبي خلع من مكانه، وأنا أرى السيارة تبتعد عن أمي ومنصور. ماذا يمكن أن يقع لهما؟ وهل سأراها مرة أخرى أم لا؟ بكيت صار بابا علي يخفف عني ويقول: وجود والدتك مع منصور سيحميه وهذا تصرف حكيم منها. لا تخشي شيئاً ستعود لنا سريعاً.

لم أستطع التوقف عن البكاء، بينما كانت السيارة تبتعد وتبتعد .

طريق المنفذ الوحيد، نحو الحدود السعودية بدت خالية من الجنود. قبل وصولنا الحدود السعودية انعطف بابا علي نحو طريق صحراوي.

عندما سألته أجابني:

- يجب أن نسلك الطريق الصحراوي، أو على الأغلب طريقاً بلا معالم، يجب أن نذهب عبر منطقة الدببة .

مع خروجنا عن الطريق العام والمعبد ودخولنا طريق الدببة، لمحنا من بعيد دورية من الجنود العراقيين. فغيرنا طريقنا مخلفين وراءنا جبلا هائلا من الغبار .

سمعنا إطلاق عيارات نارية بكثافة، بينما كان بابا علي يصرخ فينا أن نتمسك جيداً لأننا نسير فوق كتبان رملية غير متوازنة وغير متساوية ويمكن أن تؤدي إلى انقلاب السيارة في أية لحظة.

تابعنا المسير على غير هدى في صحراء دبدبة، لا مرشد ولا دليل في ليلة شديدة كالحة السواد .

توقفنا قليلاً وأطفأنا أضواء السيارة. نظر بابا علي حوله، فلم يجد أي أثر لأية سيارة من ذلك الرتل. كان الفجر قد دخل.

نزل بابا علي من السيارة وأخذ حفنة من التراب وبدأ يشمها مراراً وتكراراً وينظر ميمنة وميسرة، ثم يلتف حول نفسه. سألته:

- ماذا تفعل؟

أجابني والحسرة تعصره:

- عندما كنت شاباً كنت أعبر هذه المناطق ومعني أفواج من الإبل. أنا أعرف الاتجاهات من رائحة التراب يا مونتني .

ثم أشار إلي بيده وهو يقول :

- البحر من هنا.

وانطلقنا بالفعل صوب البحر.

لم تكد تسيطر أشعة قرص الشمس على الأفق بعد. ضوء أعمدة الإنارة يبدو ناعساً على جنبات الطرق. هكذا عرفنا أننا بدأنا الاقتراب من الحدود السعودية. هذا يعني أننا دخلنا أو كدنا ندخل في منطقة الخفجي.

مع اقترابنا من مركز المدينة، رأيت رتلاً من السيارات التي تحمل اللوحات الكويتية. رجال ونساء وأطفال ترى البؤس على وجوههم، غابت الابتسامة عن محياهم، وكأن على رؤوسهم الطير أو مستهم الجن، هم في شغل غير الذي يبدو عليه.

حاول بابا علي التوقف بالسيارة، فلم يستطع. تعطلت كوابح المركبة، وهذا آخر ما ننتظره بعد كل هذه الرحلة المخيفة .

تدرجياً بدأت السيارة بتهدئة سرعتها، وفجأة اصطدمنا بالرصيف. الآن كل شيء صار يدعو إلى الاطمئنان. استقبلتنا ابتسامة الجنود على الحدود مع السعودية، وتحيتهم لنا، وتهنئتنا بالسلامة، ثم إبلاغنا أنهم سيتكفلون بإصلاح مكابح المركبة.

لم يكن لدينا مشكلة مع النقود، أو هكذا كنا نعتقد. شكرهم بابا علي بلطف، وأصر أنه سوف يدفع تكاليف الصيانة، أو حتى إن لزم الأمر شراء سيارة جديدة.

كان بابا علي يخزن المال في صندوق السيارة. أذكر عندما نبهني بأن الحقيبة التي يضعها في الصندوق تحوي مالاً.

- احذري.

قال لي بابا علي. كانت حقيبة كبيرة سوداء اللون، مملوءة عن آخرها بالدنانير الكويتية. عندما رأيتها أول مرة لم أصدق عيني.

توجه باب علي الى صندوق السيارة وأخذ رزمة دنانير كويتية، سائلاً ضابط الشرطة:

-أين يمكن أن أبادل العملة؟

نظر إليه الضابط، وهو يقول له بصوت حزين:

- عملتكم يا حجي طايحة بالأرض، ما لها قيمة.

صعق بابا علي من قول الضابط. ماذا يعني ذلك؟ هل هو اليوم فقير لا مال له ولا وطن؟

طأطأ رأسه ولم يتكلم، ولمحت دمعة أراد إخفاءها عنا.

لم أتمالك نفسي وأنا أرى عيني أعز الناس على قلبي تدمعان. فشهقت، حاول من حولي تهدئتي، وأنا وصلنا بسلام ولا خوف بعد الآن.

لم أستطع البوح بالحقيقة، لم أستطع أن أقول لهم إني أبكي من قهر الرجال. رجل لم أراه في حياتي يبكي.

كان من حولي يظن أنني خائفة. لم أكن كذلك. ربما قليلاً، خاصة بعد أن وصلنا الحدود السعودية ولم يعد شيء يدعو للخوف.

عرفنا أن المملكة أعدت لنا مبدئياً مركزاً أمنياً على الحدود كمحطة مؤقتة لاستضافة الكويتيين.

عند وصولنا للمركز الأمني، طلبوا منا البطاقات الشخصية الثبوتية، وذلك من أجل تسجيل البيانات الخاصة باللاجئين الكويتيين.

الآن أصبحنا لاجئين؟ هل يعقل ذلك؟ بعد أن كنا واحة لاستقبال كل ملهوف، صرنا نحن من يجري استقبالنا كلاجئين؟

منحوني بطاقة مكتوب عليها اسمي ورقمي 16101، في تلك اللحظة مرت على رأسي مئات الحوارات مع اللاجئين العرب، ممن استقروا في الكويت، ففهمت ماذا يعني ان تكون لاجئاً.

صحيح أنه لم تُصنع لنا الخيام، لكن اللجوء يبقى هو اللجوء. كأنك فيه تحولت إلى بطاقة، أو رقم في انتظار قرار أو تحرك من الأمم المتحدة.



- منصور بخير مع رفاقه. خلال رحلتي الى هنا أخبروني أن الجنود قتلوا عائلة بأكملها عندما أوقفوا سيارتهم وأطلقوا النار على فتاة بعمر ك. ارتعبت خوفاً فقد ظننت أنها أنت.

- أمي نحن بخير كما ترين، وبابا علي في الأسفل مع الرجال، وورنا وعمي في الأسفل.

- آخ يا مونتي .. منصور ما راح عن بالي يا مونتي. ربنا ينصره وينصر إخوانه على القوم الظالمين.

\*\*\*

## أم المهالك

مكثنا في الخفجي مدة أسبوع. بعد ذلك قرر بابا علي حزم أمتعتنا والاستعداد للرحيل نحو الإمارات العربية المتحدة وتحديداً دبي. وبالفعل وصلنا إلى الحدود الإماراتية ومن هناك جرى نقلنا إلى منطقة الرويس القريبة من الحدود.

العديد من الفلل الفاخرة المتناثرة بشكل هندسي جميل في الرويس. أخبرونا أن هذه المنطقة منتجع لكبار الضباط في القوات المسلحة، لكن حوّل كمركز لاستقبال اللاجئين الكويتيين .

كل عائلة حصلت على شقة مستقلة. في الحقيقة كنت سعيدة بهذا الوضع الإنساني. المسألة لا تتعلق بالفخامة التي نعيشها في هذه الفلل بل بالحالة الإنسانية التي جرى التعامل فيها معنا.

كانت طلباتنا مجابة. لا انفصال عن عائلة. وكانوا يحضرون لنا كل يوم ثلاث وجبات جاهزة، حسب طلبنا. بل إننا بدأنا نتذمر بمرور أسبوع واحد من الأكل الجاهز، فقرر أمر المنتجع، خالد المزروعى، فتح سوبر ماركت كبير يحوي على كل شيء، وكل رب أسرة يذهب لأخذ جميع ما يحتاجه مجاناً.

ليس هذا وحسب. كان هناك نادٍ يتحوي على كتب ومجلات وعروض سينما ومرافق رياضية متعددة .

تعرفت هناك على سمية، وهي من جيلي هي وشقيقها أحمد. بتنا أصدقاء  
نلتقي بعد العصر في النادي، وأجمل ما فيه هو تناول الآيس كريم  
ومشاهدة أفلام الكرتون.

لاحظت بعد عدة أيام أن هناك شاباً، يكبرني بأربعة أعوام على الأقل،  
دائماً ما كان يقف عند مدخل النادي ويحدق بي من دون أن يتكلم.  
كانت نظراته تلاحقني أينما ذهبتُ. بل إنه أصبح يتودد إلى أحمد الذي  
كان قد أخبره باسمي، وأني صديقة شقيقته سمية .

- يا أحمد ما تنسى صديقك سعيد... سعيد الرويشد ، وأنا رايح أطلب  
من المزروعي توفير كل نكهات الآيس كريم.

كان هذا الشاب نفسه متحدثاً إلى شقيق صديقتي، وكأنه يتحدث معي أنا  
وليس أحمد.

لاحقا عرفت من سمية أن شقيقها أخبره بأني غير راضية عن الآيس  
كريم الموجود بالنادي، لا يوجد إلا نكهة واحدة، بالشوكولاتة. ويبدو أن  
هذا ما حرّكه لقول ما قال.

على أية حال، لم نمكث طويلاً في الرويس. فقد تحولت دبي الى وجهة  
معظم الكويتيين في الرويس، أما نحن فكان علينا الانتظار حتى نحصل  
على الموافقة من السلطات المختصة.

جاء الفرج بعد مكوناتنا ثلاثة أسابيع في الرويس. وصل الفاكس الى أمر  
المنتج خالد المزروعي، والذي أخبر بدوره بابا علي أن الموافقة  
وصلت، ولا مانع عند عمتي فاطمة وزوجها محمود المسعودي من  
استضافتنا .

عندما قلت لبابا علي أن هذا كرم من عمتي وزوجها لاستضافتنا. قال:

- ليس كراماً منه أو من عمتك، هذا جزء صغير جداً لسد بعض من ديونه السابقة لوالدك رحمه الله .

- ماذا تقصد؟

- استثمر والدك الكثير من أمواله مع زوج عمتك، الذي كان يدير عدة أعمال تتعلق باستيراد وصياغة وبيع الذهب.

كانوا يملكون عدة ورشات تعمل على تشكيل وصياغة الذهب بالشكل الذي يرغب به الصاغة، وكذلك تشكيل قطع ذهبية خاصة للزبائن الأثرياء، وتمتد تجارتهم على مستوى الخليج العربي .

مكنت أمك ثلاثة أشهر، مدة العدة، في المنزل حزناً على وفاة والدك، لم تخرج أبداً منه. بعد أن تعافت قليلاً ذهبنا لحصر الإرث، فلم نجد في ميراث والدك غير البيت في حي اليرموك الذي كنت تسكنين به، وأسهم في شركة البترول تعادل قيمتها قرابة مئتي ألف دينار.

وعند الاستفسار عن مشاغل وصياغة الذهب تبين أن أباك باعها لزوج عمتك محمود المسعودي .

ما حدا منا صدق هذه السالفة. وعند التحري تبين بأن جميع أوراق البيع مزورة. بعد ذلك غادروا للعيش في دبي.

هي المرة الأولى التي أرى فيها دبي، بل هذه هي المرة الأولى التي أخرج فيها من الكويت.

مكثنا في شقة بالطابق الثاني في عمارة تملكها عمتي فاطمة جميع سكانها من الكويتيين، وأغلبهم تجار يتعامل معهم زوج عمتي.

هذا ما سمح لي التعرف على رفيقات من بنات جيلي في هذه العمارة، لكن إحداهن " عفاف " كانت الأقرب لي، والتي كنت أقضي معها وقتي كله.

أما عمتي فاطمة فكانت لا تقطع زيارتها لنا. ودائماً تراني بكامل تبرجي، تقبلني وتقول كلمتها الشهيرة " بارع...بارع يا ابنة أخي . " لم يكن ما يقلقنا إلا الوطن الكويت ومصير أخي منصور الذي انقطعت أخباره عنا.

في إحدى المرات جاءت عمتي فاطمة لزيارتنا، وكنت أعد مائدة الغداء. جلس بابا علي على رأس المائدة، فقلت:

- نحن اليوم محظوظون بوجودك معنا على الغداء يا عمتي.
  - يبدو أن الطعام شهوي ولذيذ، لكن أنا وزوجي نصوم كل يوم اثنين وخميس، واليوم صائمة. زوجي كثير تألم كثيراً اليوم لأنه اعتقد أنه شرب الماء أثناء الوضوء عن غير قصد.
- رد عليها بابا علي:

-عادي لا يتألم ولا عباله. كان لازم يتألم عندما سرقتم حق هاليتيمة من الميراث .

ساد الوجوم المكان. لم نكن نتوقع ما قاله بابا علي. لم يكن أمامي لقطع الصمت، إلا أنسمحت لصحن لينزلق من يدي، وما أن ارتطم على الأرض حتى صحت فصاحت معي عمتي.

- لا بأس مجرد صحن.

قمت على الفور وبدأت ألملم شظايا الموقف كله .

لا أدري إن كان يحق لبابا علي الصدام مع عمتي فاطمة أم لا. وهل حقاً الأوراق التي جرى تقديمها مزورة كما يقال. لا أعلم. ولا أدري لم لم أكثرث. أشعر أحياناً أن فوضى الحواس تحتاخني إزاء هذا الموضوع.

- فقدنا الكويت كلها، هل نحزن على بضعة دنائير؟!

- ما الذي تقولينه؟ بضع دنائير؟ ربما مليون أو أكثر!

- ربما أنت تبالح... ثم لا أعلم لم لا أستطيع ان أرى عمتي وزوجها بالصورة التي تريد رسمها.  
- لأنك معتوهة.

هذه بعض من الحوارات التي جرت بيني وبين بابا علي حول الموضوع. على أن غزو الكويت والسخونة التي تنفعل معها الأحداث أنستنا أي أمر آخر.

لقد كان صالون شقتنا كبيراً، حتى حوِّله بابا علي إلى ديوانية، يجتمع فيها الرجال كل ليلة لمناقشة آخر التطورات، والاستماع إلى إذاعة "هنا الكويت"، وتحديداً برنامج عامر العجمي، الذي كان يأتي بعد منتصف الليل.

لا يوجد على جدول الأعمال إلا موضوع واحد فقط هو "احتلال الكويت الأسباب ... التدايعات... التحرير". ثم ينتهي البرنامج الإذاعي فيعود الرجال الى منازلهم.

بين صوت العجمي وحواراته وتعليقات الرجال في الديوانية تمضي كل ليلة. وكما هو متوقع سيطور الجدل والنقاش والتحليل السياسي والعسكري حول إرادة الولايات المتحدة حقاً لتحرير الكويت.

أما مهتمتي الليلية فقد كان توفر كل ما يلزم من قهوة وشاي للرجال. كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد حشدت جيوشها في المنطقة، ووصلت حاملات الطائرات والبوارج الحربية والقاذفات B52 إلى منطقة الخليج وبحر العرب والبحر الأحمر والمتوسط.

أربعة وثلاثون دولة باتت تحت إشارة هذا التحالف، وبتفويض من الأمم المتحدة. العملية التي أطلق عليها اسم "درع الصحراء".

جدل سياسي في ديوانية بابا علي لا ينتهي. البعض يريد تحرير الكويت، وآخرون صاروا يطالبون بدخول العراق نفسه، وإسقاط نظام البعث.

- يجب أن لا يكون هناك أي جمود في الموقف الأمريكي.  
- أولاً اجتياح شامل للعراق والإطاحة بنظام البعث العراقي، والذي يصاحبه تحرير الكويت .

- صحيح تستطيع طائرات وبوارج الولايات المتحدة التحكم في جميع الممرات البحرية والجوية .

- أراضي الكويت صغيرة وليس فيها تضاريس معقدة وصعبة، لهذا من المغامرة الدخول في الأراضي العراقية قبل تحرير الكويت وتأمينها أولاً .

- أنا مع هذا الرأي فهناك أمور لوجستية معقدة عند اجتياح العراق .

كان هذا جزءاً من الحوارات اليومية التي انشغل بها القوم. وفيما انطلقت عملية درع الصحراء، أطلق البعث العراقي على المعركة "أم المعارك" متوعداً بمسح جميع الجيوش المشاركة بدرع الصحراء من على وجه الأرض .

حتى إذا ما تحدث أحد أعضاء الديوانية عن موضوع غير ما يجري من تفاصيل يومية لما يجري في الكويت، وشأن الكويت أعيد رغباً عنه إلى أخبارها.

- يا جماعة تابعت معظم التحليلات العسكرية واستضافة خبراء حرب وكيف ينظرون إلى المعركة القادمة. ما أنام الليل وأنا أغير محطات التلفزيون. هناك من يقول إن القوات العراقية حفرت خندقاً بعمق ثلاثة أمتار وبعرض خمسة أمتار على طول الحدود الكويتية. سيكون من الصعب جداً على الدبابات والمدربات الأمريكية وحلفائها تجاوز هذه الخطوط .

- ما ترد ولا تسمع مثل هذه التحليلات. المحللون الاستراتيجيون والخبراء العرب مثلهم مثل نظرائهم الرياضيين؛ تشوفهم يحللون مباراة كرة قدم بين فريقين من عمالقة الكرة. كل واحد يحكي لو أن اللاعب في خط الوسط يمتد للهجوم .. لو أن المدرب قام بالتغيير والتبديل لبعض اللاعبين لحسم المباراة لصالحه. بينما فرقهم ليس لها قدرة على المنافسة في أي محفل رياضي .

- يبدو أنها ستكون "أم المهالك".

\*\*\*

## ساعة الصفر

كما جرت العادة، وبعد قليل من انتهاء برنامج عامر العجمي، يعود الرجال إلى منازلهم محمّلين بنقاشات طويلة في ديوانية بابا علي. يعودون فأرتّب ما أقدّر عليه في هذه الساعة المتأخرة من الليل ثم أتجهّز للنوم. لكن ديوانية فجر 17 يناير كانت مختلفة. لم أكد انتهى من الترتيب، حتى دق جرس المنزل بصورة مزعجة للغاية.

- "يا ستير...يا ساتر... ما الذي جرى؟"

قلت لنفسي. وأنا أركض الى الباب. سألت عن الطارق، فجاء الصوت :

- عمي أنا أبو عبيد الشراري... افتحي... افتحي.. الباب.

كان أبو عبيد جاراً لنا، فظننت أن طارئاً وقع. كان صوته جهورياً وصاخباً.

لم ينتظر أبو عبيد أن افتح له: وبدأ بالصراخ من خلف الباب .. التحرير بدأ يا علي التحرير بدأ يا علي.

هرعت مسرعة إلى بابا علي، الذي كان هو بدوره قد خرج من غرفته على وقع صراخ أبو عبيد.

عرفت - وقد عاد بعض الرجال الى "الديوانية" من جديد - أن إعلانا رسميا في إذاعة "هنا الكويت" عن انطلاق عملية التحرير.

في الساعة الثالثة فجراً، يوم 17 يناير عام 1991، انطلقت الضربة الجوية، وبدأت عاصفة الصحراء لتحرير الكويت. ها قد دقت ساعة

الصفير لدرع الصحراء التي تحولت إلى عاصفة الصحراء، وهناك على الضفة الأخرى أم المعارك.

كانت لحظات لا تنسى حفرت في وعي العرب عامة والكويتيين خاصة الذين عاشوا مرارة الغزو داخل الكويت وخارجها.

"الله أكبر الله أكبر والحمد لله، أيها الكويتيون الصامدون على ثرى الكويت، أيها الكويتيون في كل مكان، قد آن يوم الانتقام من طاغية بغداد وحزبه، إن دماء شهدائنا لم تذهب هباء، إن العذاب الذي ذاقه أبطالنا في معتقلاتهم لم يذهب هباء، إن أرواح أطفالنا الذين ألقوا من حضاناتهم عجلت من غضب الله عليهم، فجاء الانتقام مريراً، الله أكبر، الله أكبر والعزة للكويتيين بإذن الله".

صار الرجال أقل اتزاناً. الحدث العظيم سيطر عليهم كله، ولم يعد أحد منهم قادراً على الصمود في وجه هذا الحدث الجلل.

- أخيراً ستنتهي معاناة الكويتيين .

صرخ بابا علي. فيما خرج أبو عبيد من المنزل وهو ينادي على زوجته بأن تجهز حقائب العودة إلى الكويت، فضج الرجال بالضحك.

مع نهاية شباط انتهى الاحتلال. كان "فبراير الفرح"، على حد وصف عطية أبو الجود.

أبو الجود، رجل أرمل في نهاية الأربعينات. يذكره البعض بشيء من الحسرة لما اقترفه بحق الكويتيين خلال فترة اللجوء، وتحديداً في الإمارات العربية.

اعتاد أبو الجود الجلوس بعد صلاة المغرب، أمام مياه الخور الراكدة، ليدخن الأرجيلة .

اعتاد الصبيان التحلّق حوله وهو ينفخ دخانه على شكل دوائر تختفي في الهواء. هكذا يتحوّل رأسه إلى عربة قطار فحم يخرج منها دخان كثيف من فتحة أنفه مرة وفمه مرة.

لم يكن هناك ما يفعله الصبية غير السمر مع أبو الجود، الذي تحوّل إلى ما يشبه المهرج بالنسبة إليهم. يجلسون ملتفين حوله على الرصيف، يستمعون إلى إرشاداته وتوجيهاته، ضاحكين .

اعتاد أبو الجود على وصف نفسه بملك البورصة، بل وأنه من يتحكم بها. وعلى حد ما يقول: تخصصي هو الدينار الكويتي .

- مثل ما تدرون يا عيالي كان الدينار الكويتي يعادل ثلاثة دولارات أمريكية قبل الغزو والحين طايح حظه بالقاع ما له قيمة .

- أنا كوني كويتي وكويتي حر قررت وبمفردتي وبدعمكم لي أيها الشبان إنقاذ الدينار الكويتي .

- أنا والله زعلان وزعلان كثير على بورصة دبي التي أزالتي الدينار الكويتي من تعاملاتها وحساباتها. أما أنا حافظت على سيادة واحترام الدينار الكويتي.

- كما تعلمون يا أحبائي الشطار أن ما في حدا يشتري الدينار الكويتي، من يملك الدينار يريد أن يبيعه ليتخلص منه بأي ثمن، الحياة ومستلزمات المعيشة اليومية بحاجة الى مصاريف، والكل يريد فلوس للعيش.

هذا بعض من الحديث الذي حفظه الصبية عن أبو الجود من كثرة تكراره عليهم. في هذا الوقت قرر أبو الجود شراء الدينار الكويتي، لمساعدة الكويتيين، كما يقول.

- حالهم تصعب علي .

- أنا البورصة والبورصة أنا.

- أخترتكم يا عيال للقيام بهذه المهمة الجليلة، إن شراءكم وتقديركم واحترامكم للدينار الكويتي لا يقل قيمة عن محاربة ومقاومة المحتل البعثي العراقي. مهمتنا جميعاً واضحة وهي شراء أكبر كمية من الدنانير الكويتية .

قال أحد الصبية الجالسين حوله:

- يا شيخ أبو الجود ما هو سعر شراء الدينار اليوم؟

ابتسم أبو الجود ابتسامة مأكرة ارتسمت على محياه، قبض بأصابع يده اليمنى على لحيته وأجابه:

- سعر الشراء للدينار متذبذب، لا يوجد سعر ثابت أو محدد. السوق والاضاع تفرض نفوذها على البورصة، وكوني الأخصائي الوحيد في الدينار الكويتي ومالك البورصة الموازية، فأنا من يحدد سعر الشراء، لأنه مثل ما تعرفون لا يوجد بيع للدينار، فقط شراء وشراء فقط.

سأله أحد الصبية:

- بس ما قلت لنا يا شيخ أبو الجود كم سعر الشراء؟

- مثل ما قلت لكم السعر يوم عن يوم يفرق.. سعرنا اليوم رايح يكون شراء الدينار على الميزان. أنا هدفي أن أساعد إخواني الكويتيين، لا أنظر الى فئة العملة هل هي دينار أو خمسة دنانير أو أكثر.
- لا يهم ذلك، سندفع مئة درهم إماراتي مقابل كل كيلو من الدنانير الكويتية .

بعد التحرير وبعد أن أعلن البنك المركزي الكويتي عن تبديل العملة القديمة بالعملة الجديدة، يقال إن أبو الجود احتاج إلى خمس شاحنات كبيرة ، قاطرة ومقطورة، لتبديل ما يملك من أموال .

هكذا انتشرت المراكز التجارية الفخمة في معظم أحياء مدينة الكويت وجميعها التي تحمل اسم "مركز أبو الجود التجاري"، ذات الأرقام المتسلسلة التي وصلت حتى العشرة.

\*\*\*

## الرابع عشر من آذار

يوم الرابع عشر من آذار، اجتمع الرجال في الديوانية لمشاهدة عودة أمير الكويت جابر الصباح إلى الكويت. الفرحة التي أبدأها بابا علي كانت بلا حدود، ولم ينتظر، قرر العودة مباشرة بعد وصول الأمير .

طلب مني أن أحضر الشاي لهم، قمت بإعداد الشاي ولكن للأسف لا يوجد سكر للتحلية. نسيت أن أشتري سكر. أخبرت بابا علي بالأمر، وقال لي:

- ولا يهملك. انظري ما سأفعله بهم، فقط أحضري الشاي والباقي عندي.

عندما قدمت أكواب الشاي كان بابا علي يقول للرجال :

- يا جماعة هناك كأس واحدة من دون سكر، ومن تكون من نصيبه سيكون عليه أن يقيم لنا وليمة عشاء يوم غد .  
الجميع شرب الشاي من دون شكوى .

عندما كان الرجال يتجمعون حول التلفاز لمشاهدة عودة الأمير. صاح بابا علي:

-وصل أميرنا... ونحن مع أميرنا، وما عمرنا تخلينا عن كبيرنا .  
لم يكذب بابا علي يكمل جملته حتى انهار على الأرض. حينها كنت أنظر الى الجمع حول التلفاز وأتابع معهم.  
صرخت،

- باباااااااااا

طلب الرجال سيارة الإسعاف وحملوا بابا علي بها، لم أستطع الصمود أمام هذا المشهد، أغمي علي، ولم أصح إلا وقد أصبحت يتيمة مرة أخرى. مات بابا علي فرحا.

\*\*\*

## الخطوبة

كالعادة تخرج الفتيات من المدرسة بجلبة وضجيج كبيرين. تدافع في كل اتجاه وصراخ بلا معنى وضحك على أقل الحوادث.

بينما كانت الفتيات يدخلن المدرسة متثاقلات، يخرجن منها بصخب، في انتظار أن تأتي سيارة الأهل لتقلهن.

المشهد صار روتينياً، لا يوجد شيء خارج عن المألوف. لكن ما ليس مألوفاً هو ذلك الشاب الذي يقف في زاوية الشارع المقابل للمدرسة.

شاب صار همس الفتيات. من هو؟ وماذا يفعل في هذا الوقت يومياً في تلك الزاوية، ولماذا يستبدل السيارات كأنها أحذية.

في الحقيقة ما هذا الشاب إلا سعيد، صديق أحمد شقيق سمية.

كان سعيد وسيماً، يتكئ على سيارته، ولا يفعل سوى أنه يراقب من بعيد، في وقت خروج جموع الطالبات، من المدرسة، من دون أن يفعل شيئاً. فقط ينظر.

بدا أن كل فتاه تحلم أنه ينتظرها هي دون غيرها من الطالبات. أما أنا فلم أكن اكثرث. ربما نجح في أن يشعرني بحضوره شيئاً ما، وربما بدأت أطرح الأسئلة، وما الذي يفعله هنا، هذا فقط، ومن دون أن يشغل شيئاً من تفكيري.

على أية حال كل هذه التفاصيل غير مهمة الآن، فأنا في عامي الأخير بالمدرسة وفي شوق للانتهاج من هذه المرحلة.

كل تفاصيل حياتي المدرسية تقول إنني لا أكثر، حتى في ترك شعري الأسود الحريري يتدلى على سجيته .

في الحقيقة لا أعلم إن كان هذا عدم اكتراث، أو أنه ربما تمرد. أنظر الى الوراثة ولا أستقر على رأي. لكن على ماذا أتمرد؟

كان يعجبني هيئتي هذه. هي بلا معنى، أو أن فيها كل المعنى. وحده شعري من كان يراقبني من عل، أو كأنه كان يحرسني، أو ربما يطير بي فرحاً، كما أظن به أنا اغتباطاً. متمرد مثلي على اللاشيء، أو قل أنه يراقصني، كلما بدرت مني حركة ما.

أفهمه ويفهمني، أهش له طرباً، كلما بدأ يتراقص خلفي كأن نسمة هواء تراوده.

كان يطيب لي أن أشبه بملكة غير متوجة وزميلاتي وصيفاتي يتحلقن حولي، أشعر كأنني شامة يزين خد فتاة حسناء، أو ربما مثل سندريلا.

كل فتاة حولي تقول إن سعيد لها، وأنه أرسل إشارة خفية إليها، لم ير أحد أي إشارة لأي من الفتيات، رغم أن أحلام يقظة الفتيات كانت ترسم للوقائع مشاهد إضافية خيالية.

لم أقل لهن ما أعلمه منه. وكنت أميل إلى أنه يراقبني، لكن ما يدريني ربما هو مجرد مراقق، يترصد أمام مدارس البنات.

لم أكثر. ولم أتوقف عند ما كان تتوقف عنده الفتيات .

- ما لكنّ يا بنات. كأنه الكائن الوحيد على هذه الأرض، بعض التماسك يا بنات، ما الذي تفعلنه بأنفسكن. هذا أمر مخجل .

عامي الأخير في الثانوية، وتستقبلني مرحلة جديدة، أرجو أن تتقدمني فيها فتيات أقل خفة وأكثر انتراناً. وكل ما أطمح له هو تحقيق حلم أمي بأن ألتحق بالجامعة .

وصلت أمي وأقلنتني إلى البيت .

لم نكد نصل الحي حتى أبلغتني أمي بأنها تريد مني أن أذهب إلى سوق الجمعية التعاونية الموجودة في حيناء، لشراء بعض مستلزمات البيت .

كان تكليفاً مبهجاً. في الحقيقة لا لشيء سوى أنه سبب وجيه لأقود السيارة. على أية حال، التقطت سلة المشتريات ونظرت إلى قائمة المطلوبات المدونة على الورقة، وبدأت أمارس متعة التسوق .

شعرت بخطوات شخص خلفي وبصوت كما من يكلم نفسه.

- وين ممكن يا سعيد تلاقي آيس كريم؟ رفع وتيرة صوته أكثر، وين ممكن تكون يا سعيد؟

التفت خلفي لتقع عيني على عينيه، إنه سعيد الرويشد ذلك الشاب الوسيم الذي كان معنا في مخيم الرويس. كان مهتماً جداً وحريصاً على توفر الآيس الكريم حتى أحضر وأتناوله.

شعرت بقوة تيار الكهرباء الساكنة في جسمي تشعل قلبي وذبذباته تحرك الخلايا الراكدة في جسدي. وضعت يدي على جبيني شعرت بارتفاع درجة حرارتي مصاحبة لتسارع في ضربات القلب ونشاط مرتفع بالنبض وجفاف ريقِي. على أنني تماكنت نفسي، لا أريد أن يراني بأني مرتبكة .

ابتسمت وقلت له:

- هناك...هناك الأيس كريم موجود في الزاوية اليمنى، وبالمناسبة كل أنواع النكهات موجودة وليس فقط نكهة الشوكولاته .

أجاب والابتسامة تطفو على وجهه.

- والله ما أنا عارف كيف أشكرك على المعلومات الخاصة بالأيس كريم .

- عجيب ما عمري شفتك بحينا، حي اليرموك، وين ساكنين أهلك؟

- إحنا ساكنين بحي الجابرية. ولكن صدقي ما في آيس كريم بكل حي الجابرية. قلت لنفسى آتى الى حيكم وأجرب لعل وعسى أن أجد مطلبي هنا.

- أنا مبسوطة جداً بأنك وجدت مرادك.

- أنا جاي أشوفك بحجة شراء الايس كريم. أريد شوفتك ومالي بالجمعية شغل.

- يجب أن أعود الحين تأخرت كثير على أمي وهي تنتظرني والطبخة على النار.

أصبحت أحب التسوق من الجمعية وتكرر اللقاء، وكبرت الشرارة، توقد جمر قلبي وكبرت شعلة حب جارف وأصبح لهباً يلتهم كل كياني وتفكيرى .

بت أشعر بسعادة لا حدود لها، تتجاوز الزمان والمكان. سعادة تخطت حدود السماء الزرقاء وأبحرت خلف النجوم المشعة، أشعر بتسارع إفرازات هرموناتى الأنثوية، هرمونات تدفع ببساط العشق إلى كواكب المحبين والعشاق. أن أزور جميع هذه الكوكب، كواكب العشق والهيام .

أصحو من النوم في كوكب على وقع صوت فيروز "حبيتك تنسيت النوم" وأغفو في كوكب آخر على آهات ام كلثوم "إنت عمري."

أريد ان أسبح في فضاء اللاجاذبية وأرى العشاق الذين أشغلوا الدنيا بحبهم. جميع هؤلاء العشاق وقعوا في الغرام.

أسمع صليل سيوف في معركة حامية الوطيس بطلها عنتره، جل ما يريده هو تقبيل السيوف ولا أمنية غيرها، لمجرد أن لمعان السيوف تلمع كثنايا حبيبته عبله .

وفي سهل غير بعيد عن أرض المعركة، أرى حملين جميلين يتراكضان ويلعبان، لا سائل ولا مسؤولية.

هذا عاشق ليلي العامرية، قيس، وذاك العاشق جميل. عشق جعله نصف عاقل ونصف مجنون، وكل ما يريده من ليلي أن ترد له ولو بعضاً من عقله، ولكنها أبت. هو العشق، إما تقبل به كله أو تدعه .

وهذه ولادة بنت المستكفي في ربوة وسط حديقته الغناء والقمرى يصيح مغرداً، وجميع عشاقها حولها. إنها كالنار يا ابن زيدون. من يدنو منها تدفئه ومن يقترب أكثر تحرقه. لماذا لا تصدقوها عند قولها "إني كظباء مكة صيدهن حرام."

أذكر في نشوة حبي في إحدى الليالي عندما هاتفني سعيد وقلت له بأني جائعة.

-أنا قادم إليك يا تاج راسي يا مونتي. سوف أحضر لك أشهى وجبة بالكويت .

وصل بعد قليل وسمعت زامور سيارته، نظرت إليه، يقف على الشارع أسفل نافذتي. أحضرت السلّة الصغيرة و عقدتها بأربطة ملابسي وتدلّت حتى وصلت إليه. سحبتها إلى الأعلى، كنت مرعوبة بأن أجد في هذه السلّة الصغيرة ضفدعاً بشعاً مسحوراً أقبه ليعود أميراً وسيماً. أنت عشقي يا سعيد.

لم توافق أُمي على خطوبتي في البداية، بحجة أنه مدلل وابن أمه، فقد مات أبوه وهو صغير وترك خلفه ثروة كبيرة لهم.

- ولكن أنا يا أُمي مثله، مات أبي ولم أعرفه، ولا توجد ملامح لوجهه الحنون في مخيلتي، ومات سندي في الحياة بابا علي. لم يبق لي سواك في هذه الدنيا.

- أنت غير يا مونتي، كان جدك بابا علي موجوداً وقام بتربيتك .

- والله إذا ما أخذت سعيد، ما رايح أتزوج نهائياً.

وتحت إصراري وعنادي وافقت أُمي على الخطوبة. كنت سعيدة جداً عند خطوبتي، كل كوكب الأرض لم يتسع لفرحتي.

قدم لي خاتم الخطوبة من الألماس الخالص محفوراً عليه أول حرف من اسمه S وحفرت اسمه على شغاف قلبي، والبسته خاتماً من فضة ومحفوراً عليه أول حرف من اسمي.

\*\*\*

## الاغتصاب الزوجي

هاتفني سعيد وقال إنه سيأتي بعد نصف ساعة لاصطحابي إلى الفندق الذي سنقيم به حفلة الزفاف .

في بهو الفندق استقبلنا مدير الفندق صلاح البيومي، الذي قادنا إلى القاعة الملوكية الفخمة.

سألني سعيد:

- ما رأيك يا مونتي ؟ إن شاء الله تكون أعجبتك؟

- ممتازة ما عليها حكي؟

التفت السيد صلاح البيومي نحونا وسأل:

متى ميعاد الفرح حتى أحجز لكما القاعة؟ ما تنسوا نحن الآن يا جماعة  
بنهاية شهر ابريل.

-نريد أن نتزوج في العاشر من أكتوبر، أجابه سعيد .

ضحك بيومي من كل قلبه، وقال:

- ايه يا جماعة هو أنتم شاركتم بحرب أكتوبر وحررتم سينا وحننا  
مش عارفين؟ من أجل هذا التاريخ سأمنحكما خصماً خاصاً ولا بحياتكم  
حلمتم فيه .

ضحك الجميع، وقلت له إن هذا اليوم يصادف عيد ميلادي .

ثم اقترح سعيد أن نذهب إلى بيت أهله القديم لنرى ما هي احتياجات  
ترميمه وما هو الأثاث المناسب له، فأماننا ستة أشهر للزواج وهي فترة  
كافية لتجهيز المنزل .

لم أمانع ذلك. وبالفعل ذهبنا إلى المنزل الكائن في حي الجابرية.  
دخلنا المنزل صالون كبير وثلاث غرف نوم كل واحدة مع حمامها.  
وذهبنا إلى المطبخ، لم تكن حالته سيئة. ما أن دخلنا حتى بدا سعيد في  
حالة غريبة، ثم شعرت بيدي سعيد تقبض على خاصرتي وتعصرها  
بقوة.

- سعيد أتركني مجنون أنت، دعنا نخرج من هنا شفت البيت كله  
وكفاية.

لم أكد أنني جملتي حتى رماني إلى الأرض بقوة. فارتطم رأسي  
بالأرض، فصرخت من شدة الألم.

-سعيد أرجوك ، أتركني، دعنا نذهب من هنا.

-أنت لي، أنت زوجتي، ووثيقة زواجنا معي، أنا لا أفعل شيء حرام.  
-ليس هكذا، سوف نتزوج, تذكر أنه للتو حجزنا القاعة لمنتظر فرحتنا  
الكبرى .

نظرت إلى عينيه تخرج من محاجرها وترمي شرراً على جسدي يكاد  
يحرقه. حاول تقبيلي بينما كنت أمتنع، شعرت بأني حمل وديع بين أنياب  
ذئب مفترس. توصلت إليه ورجوته من دون جدوى.

- يرحم أبوك اتركني.

أحكم قبضته على يدي، ووضعها تحت راسي، بدأت ارتعش من شدة  
التشنج.

- مشان خاطري.

- أنت لي .... أنت زوجتي....وأريدك الآن .

بدأت بالصراخ والعيول بشكل هستيري، هو يحارب بسيف وأنا بترس. شعرت بوخزة السيف تمزقني وألم شديد لا يطاق مع اختلاط السوائل. لم يتكلم أي أحد منا خلال العودة إلى المنزل. فتحت باب السيارة عند وصولي، وصعدت مسرعة إلى الحمام. غسلت جسدي من القذارة، ولم أتوقف عن النحيب، ربما سمعت أمي نحبي فصارت تسألني من خلف الباب.

- مونتي حبيبي هل أنت بخير؟

- بخير يا أمي، فقط الأم الدورة في بدايتها لا تحتمل .

بقيت لأكثر من أسبوعين وأنا في حالة صدمة وذهول. لم أستوعب ما حدث لي إطلاقاً. لم أرد على اتصالاته أبداً، كنت خائفة من أن أخبر أمي، كنت مرعوبة وغير مصدقة لما جرى لي .

كنت في صراع مع نفسي. ما هذا الذي حصل؟ لم يستوعب عقلي وفكري ما جرى. لماذا دائماً فرحتي منقوصة؟ لماذا مسلسل المآسي يطار دني في حياتي؟ ألف لماذا ولماذا؟

إذا طلبت الطلاق كيف يكون مصيري وأنا مطلقة غير عذراء؟ كيف ستكون صورتي أمام أهلي وأقاربي ومعارفي؟ أصبت بالرعب والخوف والكوابيس السلبية تغزو نومي وتقلبني ذات اليمين وذات الشمال، تقض مضجعي وتدفعني إلى الجنون، ماذا لو كنت حاملاً؟

بعد مرور ثلاث اسابيع جاءت أم سعيد لزيارتنا ومعها ابنتها، الكبيرة رقية والصغيرة عبير .

- حبيبتي يا مونتي يا بنتي، والله مشتاق لك، خalina نجلس بغرفتك  
نسولف براحتنا وحدنا .

دنت مني وقالت بهمس:

- سعيد حكي لي على الذي صار، والله إنه نادم كثيراً ، والله يلعن  
الشیطان.

- والله ما في غير ابنك شیطان.

- الله يهديك يا بنتي، والله وحده يعلم بأنك غالية على قلبي مثل بناتي.  
بدنا نفرح فيكم، وقد دفعت عربون حجز القاعة الملوكية في الفندق.

- بعد أسبوعين يحل شهر رمضان الكريم، سوف يكون زواجنا في  
العاشر من رمضان في صالة جمعية حي اليرموك. وما عندي مانع  
أسكن معكم في نفس البيت.

- حاضر يا بنتي ورايح أجهز الطابق الثاني لكم، الطابق الأول  
يكفيننا وكبير علينا أنا والبنات، بس ليش في العاشر من رمضان؟

- اسألني بيومي، عندما تذهبي لاسترجاع عربون حجز قاعة الفندق.

طلبت من أخي منصور أن يحجز صالة الجمعية وأن يدعو إلى إفطار  
رمضاني خيري. ذلك كان يوم عرسي، يوم فرحتي الكبرى، لم ألبس  
الذهب بل لم ألبس حتى ثوب عرس أبيض، إنها ليلة من ليالي رمضان  
المباركة. كنت سعيدة جداً بوجود أكثر من منتي شخص في حفل فطور  
العرس من كل جنسيات العالم، ما كنت لأحظى بهذا الكم لو كانت  
الفرحة الكبرى في صالة فندق خمس نجوم .

الجميع شاركني فرحتي، والكل رقص حسب عاداته وتقاليده. بدأت أشعر بالضيق من سماع الزغاريد في مثل هذه المناسبة. إنها تخرق طبلة أذني. لا أريد بركات الآلهة "ليش".

-حجرت جناحاً لنا في الفندق.

عبارة قالها سعيد بصوت خافت وعلى استحياء.

- ما في داعي لهذا الجناح، أخبرتني أمك أنها أعطتنا جناحاً في المنزل معها. لم يتكلم ولم يعارض .

بعد وصولنا أغلقت الباب على نفسي، بكيت حتى تشربت مخدتي دموعي، ليس عندي رغبة أبداً في حق الزوجية، أشعر ببرود جنسي لا حدود له.

- هل أنا حقاً في ورطة؟

سؤال بدأ يطلّ برأسه علي كلما رأيت من سعيد تصرفاً مريباً.

لكنها حياتنا ولا بد أن أحاول ان أديرها بالمتاح منها، لهذا صرت أبحث عن كل ما يمكن ان يحبيني بسعيد. مرة أنجح وأخرى أفلس.

بعد نجاحي في الثانوية التحقت بالكلية المتوسطة لدراسة الصيدلة، وما أنا انهيت فصلي الأول حتى عرفت بحملي، فانقطعت عن الدراسة، خاصة وقد رافقها مصاعب صحية، كان علي أن ارتاح خلالها.

مضت الأشهر، سريعة مرة وبطيئة مرات، أمضيتها بين عائلة سعيد وأمي. وعندما اكتمل الحمل عرفت أنني حامل بثلاث توأم. لم أصدق عندما أبلغتني الطبيبة بذلك. بكيت.

ثلاث توائم إناث. سارة ومريم وطيبة، أميراتي الجميلات الثلاث أدخلنني الى دنيا لم أكن اعرف أنها موجودة .

رغم كل هذه النعمة، إلا أنها لم تكن سهلة. ولادة التوائم كانت أمراً متعباً، وهذا ما تدركه والدة سعيد التي هبت لمساعدتي في كل شؤون حياتي الجديدة، وهو ما سمح لي لاحقاً التسجيل في الكلية الجامعية.

وما إن كاد الفصل الجامعي ينقضي حتى أبلغني سعيد أنه يريد ان يسافر إلى فرنسا لدورة تدريبية خاصة بعمله، وأن بإمكانني اللحاق به بعد انتهاء فصلي، لقضاء بعض الأيام معه هناك، وهذا ما جرى بالفعل.

في تلك الأيام تعرفت على عادات لزوجي لم أكن أعرفها به. وهذا ما جعلني أفكر فيما إذا كنت قد أخطأت بالزواج منه.

في مطعم لبناني لا يبعد كثيراً عن ساحة الشانزليزيه، حضر النادل فطلب منه زوجي زجاجة شمبانيا نظرت الى سعيد ولم أكن أصدق ما طلب.

- ما هذا الذي طلبته؟!
- ما بك .. طلبتها احتفالاً بقدمك.
- هذا منكر وأنا لا أعاقِر الخمرة وليس لدي أية رغبة في تذوقه.
- نحن في باريس حبيبتي مونتي ولسنا في الكويت!
- المنكر يبقى منكرأ وليس متعلقاً بالمكان .
- سكب لي كأساً وقدمها لي, أزحتها عني لكنها انسكبت على ملابسي، فغضبت من كل المشهد فأسرعت عائدة إلى الفندق.

أمضيت معظم أوقاتي في التسوق، كأنني أحاول الهرب من الصورة التي رسمها زوجي عن نفسه.

- هل حقا وقعت في ورطة بالزواج منه؟

حاولت إشغال نفسي بكل ما يمكن ان ينسيني هذا السؤال. فمضى الأسبوع كأنه شهر، ثم عدنا إلى الكويت.

مرت الأيام بلا معنى، إلا من أميراتي الثلاثة. كنت حينها مشغولة بشؤوني التي لا تكاد تنتهي بين الدراسة ورعاية بناتي التوائم.

كأنني بدأت فيها أتحوّل الى مجرد زوجة لأحد الرجال الطائشين، الذين يعيشون حياة موازية للحياة التي يظهرها لمحيطه الاجتماعي.

يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر. مرّ الوقت، سعيد في عمله وحياته السرية، التي أحس بدبيبها حتى في ثيابه، وأنا في دراستي، حتى عاد الحمل لي من جديد، فاضطرت مجدداً الانقطاع عن دراستي قبل أن أنهىها بعام، بعد أن أنجبت صبياً أطلقنا عليه اسم عبد المجيد.

ومجدداً احتجت لمساعدة عائلة سعيد التي كانت كأنها تعرف طيشه. وهذه المرة من شقيقته الكبرى رقية، هي من تساعدني في الاهتمام بعبد المجيد، حتى صار لا يفارقها، كما أنها لم تعد تقدر على مفارقتها، وكأنه أمه الموازية الأخرى.

أما أنا فعدت مرة أخرى إلى الكلية وأنهيت دراستي وحصلت على شهادة متوسطة، ثم جرى تعييني في المستشفى الأميري بالكويت كمساعدة صيدلي.

\*\*\*

## الإدمان

كل يوم كان يمر على زواجي، أشعر أنه يبعدني عن سعيد أكثر وأكثر .

- هل حقاً أنا في ورطة؟

شعرت أُمي بحالي، كما لم يغيب الأمر عن حماتي .

- صغير في السن سيعود إلى رشده فاصبري.

هذا ما كانت أُمي تشجعني عليه، وهي ترى انزعاجي من سعيد ومن الرجل الذي تحول إليه.

رفضت فكرة أُمي حول طيشه .

- لكن يا أُمي إن كانت هذه هي حياتي فلا أريدها.

- ولا تريدين أيضاً يا ابنتي ان يقال عنك مطلقة.

لم يعد سعيد يكتفي بابتعاده عني منذ الصباح حتى المساء، فيأتي متعباً وينام وكأن البيت قد تحول إلى مجرد فندق له، فقد تطور الأمر حتى صار يسافر مع أصدقائه ويمكث أياماً طويلة بعيداً عنا.

في إحدى المرات أخبرني أن إجازته السنوية قد اقتربت وأنه اتفق مع أصدقائه على السفر إلى الولايات المتحدة، وذلك لحضور مناسبة تخريج صديقه عبدالله الخرافي من جامعة "بافالو" نيويورك .

كنت أعلم أن الأمر أبعد من مجرد حفل تخرج. لقد أمضى هناك قرابة الشهر .

كانت رحلة أمريكا منعطفاً حاداً لحياتي مع سعيد، خاصة بعد أن بدأت ألاحظ بعض التغيرات في سلوكه. أحياناً يبقى صامتاً لساعات لا يتكلم ولا يحتك حتى بالأولاد، وأحياناً يبدأ الكلام والثرثرة من دون توقف أو تعب. فجأة يسكت، وفجأة يصبح صاخباً، وكأن جنياً قد تلبسه.

حتى عاداته لم تستقر على حال. لقد تحول سعيد إلى كائن لم أعد أعرفه. في إحدى الليالي حضر إلى البيت في ساعة متأخرة. لم يكد يدخل ويراني حتى بدأ بالاعتذار والتبرير عن وصوله متأخراً، وهذا ما أربكني.

لم يعتذر، وهو الذي اعتاد على التأخر لساعات وساعات.

- ما بك تعتذر. لقد اعتدت على القدوم إلى البيت في ساعة متأخرة.  
- وقتي ليس بيدي، وأنت تدركين مصاعب عملي كضابط في الحرس البحري.

- هذا أعرفه، فما هو الجديد؟

- اليوم قمنا بصد هجوم شرس قامت به مجموعة من سمك القرش على الكويت .

- وين صار هذا الهجوم؟

- قريباً من الساحل. أعتقد أنها مدفوعة من قوى خارجية تضرر للكويت كل الشر ولا تريد لها الخير. على أننا تصدينا لهذا الهجوم بالشاشات والقنابل حتى قضينا عليها جميعها. تخيلي يا مونتي أنه كان هناك حوت كبير أعور يراقب ولم يقترب، وحسب تقديري فهو من أرسل السرب للتخريب، وبقي يراقب المشهد عن بعد. وبعد أن شاهد

ما حل بمجموعته ولى هارباً يجر أذيال الخيبة. الحمد لله الذي نجانا من هذه المصيبة. أحلى وأجمل شيء في المعركة هو مشاركة الدلافين فرحتنا، كنت أتمنى لو كنت هناك وتشوفي الدلافين ترقص فرحاً بالنصر. بإمكانك متابعة نشرة الأخبار على التلفاز، من المؤكد أنه سيكون أهم حدث على نشرة الأخبار الرئيسية.

جاملته، غير أنني لم أكن أصدق كلمة مما يقول. هل جُن زوجي؟ ما الذي يجري له؟ بالتأكيد هناك شيء ما. شيء ما يخفيه.

هاتفني يوماً مساءً وطلب مني تجهيز جلسة في البيت فقد أحضر معه بعض الحلويات والبوشار:

- اشتريت فيلماً وأريد أن نشاهده جميعاً معا .

- تكرم.

حضر إلى المنزل بعد ساعة، وبدا بتشغيل جهاز الفيديو، وهو يسأل عن الأطفال.

- وين البنات حتى يحضروا ويشاهدوا الفيلم معنا؟ وين حبيبي عبد المجيد؟!

- ناموا بدري، كان عندهم درس سباحة ورجعوا كثير متعبين وعبد المجيد عند عمته رقية.

- طيب شو رأيك أنادي أخواتي يشاهدون الفيلم معنا؟!

- احكي معهم ما عندي مانع.

اعتذرت أخواته عن الحضور بحجة وجود ضيفة عزيزة لديهم.

- بعد المعركة مع سمك القرش، أحببت أن أرى فيلم "الفك 2". لأنني شاهدت الجزء الأول منه.

بدأ بتشغيل جهاز الفيديو، وبدأت تظهر على الشاشة صور لفتيات عاريات .

- ما هذا يا سعيد؟ قلت لي بأنه فيلم عن الحيتان وسمك القرش.  
-ربما هذه دعاية.

- احكي لي بالضبط ما الذي صار في محل الفيديوهات؟

- طلبت من البائع، ما أنا عارف هو هندي والا فلبيني، وقلت له بلغة هجينة ما بين العربية والإنجليزية، أريد فيلم "الفك 2". ابتسم وناولني إياه.

- والله لازم تكويت الكويت حتى نفهم على بعض على الأقل وتكون بيننا لغة مشتركة.

في اليوم التالي استيقظ باكراً، حلق نقنه على مهل وسمعت صوته يتعالى في الحمام يغني فرحاً "يا حلوة الدنيا...يا حلو لو...يا حلو لو ."

- ما شاء الله الصوت يا سعيد! وين كنت مخبيه كل هذه المدة؟

- ههههه تسخرين مني ... أليس كذلك .. أنا رايح مشوار صغير، ساعتين بالكثير وارجع .

انقضى اليوم بطوله ولم يعد إلا مع منتصف الليل، منهكاً متعباً .

-ماذا لدينا من طعام.. أنا جائع!؟

-هناك بقايا من الكبسة.

ذهب الى المطبخ وما هي إلا دقيقة حتى سمعت صراخاً كأنه يعارك  
أحد ما:

- لن تستطيعوا هزيمتي أيها الأذال. أنا أقوى منكم جميعاً، لم تروا  
أسلحتي بعد .

ركضت نحوه وأنا أصرخ:

- شو في يا سعيد؟

-إنهم المتحولون. انظري إليهم يخرجون من مرطبان المربي متكرين  
على شكل نمل. أنظري إليهم كيف يتسلقون الجدار الواحد تلو الآخر،  
أراهم يكبرون ويكبرون مدججين بالسلاح ينتظرون الإشارة من  
زعيمهم وكبيرهم لمهاجمتي. ولكن هيهات هيهات...كنت مستعداً لهم  
لن ينالوا مني.

صرت أضرب رأسي بيدي وأنا أبكي على الجنون الذي أصابه.

-جنّ سعيد.. جنّ سعيد.. جنّ سعيد..

-اخرجوا من المنزل جميعاً، سأقوم بحرقهم والقضاء عليهم، سأحرقهم  
بالنار .

-ماذا دهاك يا سعييد؟!

-اخرجوا اخرجوا ..

-سعيبيد لا يوجد أحد.. أنت تتوهم ..ما هذه المصيبة التي حلت بنا؟

أخرج ولاعته من جيبه وأشعلها وبدأ يبحث عن بقايا الجرائد ليحرقها،  
ركضت إليه بسرعة وانتزعت الولاعة منه ورميتها من الشباك .

زاد من صراخه، حتى أنك فألقى بجسده المتهالك على الأرض. بدت عيناه غائرتين وكأنهما ترغان في الففز من محجريهما. صاحب ذلك ارتعاش يديه ثم تحول إلى ارتجاف يغطي كل جسده. بدأ العرق يتصبب من جبينه، ويبلل وجهه ويسقط على رقبتة، رغم جفاف حلقة وقلعة لعابه. ركضت إليه، وضعت يدي على جبينه، حرارته مرتفعة فجست نبضه شعرت بتسارع في النبض وزيادة في عملية الشهيق والزفير. صرخت بوجهه:

- ما بك يا سعيد!

هناك خطب ما. لا يمكن أن يكون سعيد قد تغير بهذه السرعة. أيعقل أن يكون قد مسّه جن ما؟ لكن ما الجن الذي سيصيبه. تذكرت كيف كان بعض معارفي عندما يواجهون مثل هذا الذي أواجهه يحيلونه بعد أن يعجزون عن التفسير إلى عوالم الجن. لا ليس جنّاً. هناك خطب ما. كأنه مرض عقلي.

لم يمهلني كثير أسئلة. فجأة نهض كالممسوس وهرع إلى إحدى الغرف، فتابعته، فإذا هو يخرج حقيبة ويفتحها. فبدأ يخرج منها حقناً بلاستيكية ومربطاً مطاطاً وعبوة زجاجية صغيرة ومواد إسعافات أولية متنوعة. عرفت ما الخبر. انه متعاطي مخدرات.

-مخدرات يا سعيد!

نظر إليّ من دون أن يتكلم.

يا إلهي. هذا آخر ما أنتظره .

- مخدرات يا سعيد؟

كان مشغولاً بشأنه لا يسمعني.

- منذ متى وأنت مدمن على الهيرويين؟ هل هي رحلة أمريكا؟

لم يجب. فبدأت أنهار كلياً.

لم تر عيني طعم النوم تلك الليلة.

-المتعوس متعوس ولو خطوا على راسه فانوس!

لم أجد بدءاً من إخبار والدته وشرحت لها وضع ابنها بالتفصيل. لم تصدق ما سمعت واعتقدت بأني أهول الأمور .

- صرخت بصوت عال، وينك يا سعيد؟

جاء سعيد متثاقل الخطى، بالكاد يستطيع أن يجر قدميه .

-ماذا هناك يا سعيد؟

لم يجبها لكن ملامح وجهه وتصرفاته جعلها تتيقن من كلامي.

نظرت نحوي وهي تبكي:

-لا بد أن نعالج الأمر سريعاً. والحل الوحيد والسليم بأن يعالج في مصر. هناك مستشفيات خاصة للمعالجة. يمكن أن يحتاج إلى شهر أو أكثر. ويبتعد عن الشلة في الكويت .

- الله يكون بالعون من أين لنا بهذه المصيبة من أين لنا وهذه المصيبة ... يا إلهي يا إلهي يا إلهي .

بالفعل بدأت الاتصال بكل جهة ممكنة في مصر وتجهيزه للرحلة.

\*\*\*

## الشجار

كان الحدث مفصلياً. لم أعد انتظر من زوجي شيئاً. بت أعرف الإجابة عن سؤالي السابق فيما إذا كنت قد وقعت في ورطة عندما تزوجته أم لا.

نعم وقعت في الورطة. ورطة انتهت بي الى وحدة. كأي صرت مطلقة نفسياً. والطلاق النفسي أشد وطأة. لم أعد أنتظر من كان زوجي. لم أعد أحلم بأن أمضي يومي معه، ولا مستقبلي صار أماناً بين يديه.

في غرفتي بمفردي، أتجمل لنفسي وأتطر للاشيء وأبعث الدفء في أنوثتي وحدي. أنظر إلى سريري، إلى سرير الزوجية، مرت ستة أشهر على عودته من مصر من رحلة علاجه من الإدمان .

انظر إلى سرير الزوجية مرة أخرى. كل طرف منا يأخذ ركنه من السرير. سريرنا أشبه بملعب كرة قدم بين فريقين أشداء في مباريات كأس العالم. كل فريق متمركز ومتمحور في موضعه.

صراخ دائم وشجار لا يتوقف، وهدوء صاخب، يعبر عن احتجاج لمعنى هذه الحياة التي تحولتها. لا هدف ولا رؤية ولا معنى. حياة بلا طعم ولا لون ولا رائحة .

دائماً ما كان يدخل سعيد الغرفة متعباً. كأنه نصف رجل ونصف زوج. بل كأنه نصف سعيد الذي رسمت له في مخيلتي كل لوحات الدنيا الجميلة .

منهك، وفي حالة رثة، جلس على حافة السرير، وهو يقول بصوت خافت:

-ليس لدي شهية للأكل أبداً، لم أعد أشعر حتى بطعم الأكل ولا إذا كان قليل الملح أو كثير الفلفل. لم أعد أشتهي شيئاً. لا أريد شيئاً .

صار طول الوقت ينام، حتى إذا أفاق نام ثانية.

-أنا لم أسألك أصلاً إن كنت جائعاً أم لا، لم تعد يا عزيزي أنت منذ دهر. لم تعد أنت منذ الاغتصاب الذي عرضتني إليه. هل تذكر أم نسيت. أنا ما نسيت شيئاً .

أنت تغيرت كثيراً بعد رجوعك من مصر. لا بل تغيرت قبل ذلك بكثير. ورغم أن سفرك إلى مصر منحني بعض الأمل لكنه كان أملاً كاذباً .

توقعت أن تكون إيجابياً على الأقل نحو أسرتك ونحو حياتك. أما اليوم فلا أراك الا شبيه رجل، كأنناً متهاكلاً متخاذلاً، انهزامياً.

- هذه قسوة منك. إلى هذا الحد أصبحت تكرهيني؟

أبداً. لا أكرهك. بل أكره ما صرت عليه. انظر الى ما تقوم به. إلى الحياة التي رضيتها. أصبحت أيام عطلتك الإسبوعية قليلة، وخروجك مع ربعك كل ليلة، وغالب الأوقات تأتي مع أذان الفجر. هذا إن عدت. أو أنك تنام في أحد منازل متعاطيك من رفاق السوء .

اليوم قمت بتفنيش كامل المنزل. صحيح أنك لم تترك خلفك ما يشي بانك مدمن، لكني أصبحت خبيرة في المدمنين وممارساتهم المميتة. كل ما فيك يقول إنك عدت لتعاطي الهيرويين .

أعلم أنك الآن في قمة نشوتك. إن كنت رجلاً أو بك أية سمة من سمات الرجال فقط أخبرني بالحقيقة، ولا أريد شيئاً آخر. إن كان هناك أمر يحيرك أو يقلقك أو معكر مزاجك فقط أخبرني.

- اعترف بأنك ذكية. كلما حاولت أن أحتال عليك أفضل، لقد أخبرت زوجتي عنك وعن قدرتك على المناورة على جميع الجبهات.

-ماذا تقول يا رجل. من هذه زوجتك؟ هل يوجد زوجة ثانية أم أنت في رحلة انتشاء؟!

-تزوجت من مروة عندما كنت في رحلة المعالجة من الإدمان في مصر.

-من مروة هذه؟ مصرية أم كويتية؟

-كويتية من ديرتنا، كانت معي في نفس المستشفى وتعالج مثلي، وكان عندنا وقت فراغ كثير وممنوع أن نخرج من المستشفى.

-ومتى تزوجتما يا شهيم يا أبو الهمم؟

-بعد عودتنا من مصر، تزوجنا شرعاً.

-يا فرحتي فيك يا سعيد، على الأقل لو عزمنا.

-ما عزمت غير أختي رقية، هي الوحيدة التي تعرف بالأمر، حتى أمي لا تعرف، ولكن مروة تعرفك .

-من وين تعرفني مروة؟

-لم أخف عنها أي شيء، أخبرتها عن كل شيء عنا ، كيف تعارفنا وكيف تزوجنا وعن عيالنا، إنها تعرف كل شيء عنك، وهي معجبة جدا بك.

-ومعجبة؟ من أين تعرفني؟

-أخبرتها بمكان عملك بالمستشفى الأميري، وقمت بنفسك بصرف أدوية لوالدتها .

شعرت بنفسني تنهار. أشعر بالذل والهوان. أشعر بحسرة تعصر قلبي.

- هل هذا هو جزائي بعد عشرة عمر امتدت إلى اثني عشر عاماً؟! بعد أن سترتك بكل خطاياك!

- تزوجت بشرع الله.

- وأين أنت من شرع الله؟ هل إيمانك من شرع الله؟ أم معاشرتها في رحلة معالجتك من الإدمان؟ أم معاقرة المنكر في باريس؟ هل شرع الله محدد بزواجك من هذه المدعوة مروة؟ أنت مسخ يا سعيد ولا أريدك أن تكون جزءاً من حياتي بعد اليوم .

لم تتوقف مصاعب الحياة عند هذا الحد. في اليوم التالي هاتفني إدارة مدرسة عبدالمجيد وطلبت مني الحضور. ففعلت. وهناك كانت صدمتي بما يعانيه ابني في المدرسة من دون أن أشعر به.

- عبدالمجيد يعاني من صعوبة تعلم بحدود 60 % ونصحوني بنقله إلى مدرسة خاصة تعني بمثل هذه الحالات. أخبرني المدير بأنه يريدك أن تحضر إلى مكتبه, كونك ولي الأمر. وقلت له:

- بالتأكيد سوف يأتي إليكم قريباً.

## الطلاق

خبر زواج سعيد غير كل شيء في حياتي. غير أنني لم أعرف تماماً الطريقة التي يمكن لي فيها أن اتخلص منه .

أما هو فلم يعد يأتي الى البيت كثيراً وإن جاء فلا يصعد إلى شقتي ويبقى عند والدته، وهناك حيث أطفالتي طوال الوقت. في الحقيقة لم يكن يعاني أطفالتي عند بيت عمتي من شيء. بل كانوا على الهيئة التي كنت أتمناها. دلال ورعاية كما أشتهي .

انتظرت حتى جاء فجهزت نفسي ونزلت إليه فوجدته مفترشا الأرض وعبد المجيد بجانبه .

- ابنا يا سعيد يعاني من صعوبات تعلم، ويجب أن نضعه في مدرسة خاصة. وهذا ما أكده مدير مدرسته الذي طلب حضورك إلى المدرسة لترتيب انتقاله الى مدرسته الجديدة .

- أنت تعرفين أنني مشغول جدا ولا وقت لدي. تصرفي أنت وأنا موافق على كل ما ستقومين به .

- أنا بحاجة إلى توكيل منك لنقل عبدالمجيد.

- غداً سيكون التوكيل بين يديك .

شعرت بأننا في حرب باردة، لا أحد منا يريد الكلام. الكل ملتزم بمنطقته المحايدة. لم أكن أرغب في إدارة صراع جديد. فقد عرفت مصيري، وأمنت به.

في مساء اليوم التالي، رأيته يدخل البيت فانتظرته حتى يصعد إلي وكما توقعت لم يفعل فنزلت إليه أنا فوجدته كما هي هيئته .

عندما رأني أشار إلى ورقة ملقاة على الطاولة وهو يقول .

- هذا التوكيل الذي تريدينه، وكالة عامة .

عندما سمعت شقيقته رقية ما قاله جن جنونها .

- كيف يا سعيد تعطيها وكالة عامة؟ مجنون أنت؟ أكيد أنت لست بوعيك حتى تعمل مثل هذا العمل؟ وكالة عامة؟ سوف تبيعك أمينة وتبيع كل ما تملك. كان يجب عليك أن تعمل لها وكالة خاصة، فقط فيما يخص مدرسة ابنك؟ أعطيني الوكالة وغدا سوف أذهب معك ونغيرها .

أجبتها والدم ينفر من عروقي والشرر يتطاير من عيني:

- لا يارقية، لن يكون هناك تغيير في الوكالة. ابني ما زال في البيت أكثر من شهر وضاع عليه الكثير من الدراسة. أنا أعلم وأعرف بأمرنا أكثر منك .

- لا يا أمينة، أخي ليس بكامل قواه وكلنا نعرف علتة وإدمانه. يجب أن أراعي مصلحته ومصلحة العائلة .

بدأت بالبكاء والعويل:

- هل أنا متزوجة منه أم من عائلتك؟ أنا أعرف مصلحتي ومصلحة أولادي أكثر منكم. لا أريد أي شيء منكم. أنا ابنة عز من يوم مولدي، من قبل أن أتزوج ابنكم، لست بحاجة لأموالكم إن كان هذا خوفكم. فقط كنت أريد أن أشعر بأني امرأة ولي زوج يحميني. اليوم أشعر أنني في بيت بلا جدران وبلا أسوار وبلا سقوف. الكل ينقض عليه كالثعالب المسعورة .

سئمت هذه الحياة، سئمت منك يا رقية ومن مكرك وخذاعك. هذا شقيقك سعيد خذيه كله .

كل ذلك جرى وسعيد يجلس على الكنبة، لا يقوى على الكلام، يتصبب عرقاً، فيما حوله أخواته، وأمامه كانت تجلس أمه.

بصوت يشابه الصراخ قلت له:

- طلقني يا سعيد. لا أريد العيش معك بعد الآن. لا أريد العيش في هذا البيت ولا لحظة .

فرد بكلمات متقطعة ومنقاطعة من دون النظر بوجهي:

- لن أطلقك. أنت زوجتي وستبقين زوجتي إلى أبد الأبدين. حلمك بالطلاق كحلم عودة إبليس إلى الجنة. سيبقى حلماً بالنسبة إليه، وطلاقك سيبقى حلماً بالنسبة إليك .

- طلاقني لن يكون حلماً يا سعيد، سيكون واقعاً، سيكون واقعاً جميلاً بالنسبة لي وواقعاً مريراً بالنسبة إليك. طلاقني سيكون مفتاح الفرج بالنسبة لي ومفتاحاً لتعاستك التي اخترتها بيدك .

لا أريد أن أقضي بقية حياتي مع مدمن، مع شخص لا يعرف متى تشرق الشمس ومتى تغيب، شخص لا يعرف في أي يوم نحن؟

نظرت حولي وإذا بكل عيون الجالسين تلتفت نحوي. كانت محاجر عيونهم تقول كل شيء. بعض المحاجر كانت تود الانقضاض علي ونهشي وبعضها تنظر بشماتة .

تألمت لحال أطفالي بينهم. لم أستطع النظر إليهم، أشحت بوجهي عنهم.

كنت فقط أريد رجلاً أشعر بوجوده، أريد حياة طبيعية لأطفالي. لا أريد رجلاً من خلف الشاشة، يعيش لإدمانه ولذاته وشره.

سئمت هذه الحياة، مللت من هذه العيشة. أنا أعيش في حالة رعب دائم، كلما رن جرس الهاتف أعيش في حالة هستيرية. أتناول السماعة وأنا أرتجف خوفاً، تتسارع دقات قلبي، وأشعر بالأدرينالين يقفز إلى أعلى مستوى له .

بت أخشى كلما رن جرس الهاتف بأن يكون خبراً عنك. لا أريد أن أكون ذلك الشخص يا سعيد الذي يستقبل هذه الاتصال. ليكن أحداً غيري ولكن لست أنا.

- لن يكون طلاقك مني طوق نجاتك. لم أقلها يوماً ولن أقولها الآن. لن أطلقك. أنا رجل ككل الرجال، أنا رجلك الأول والأخير.

أنا من يمنحك كل فجر روحا ومن يصورها بين يديك .

وأنا من يللم جسدك المتهالك كل صباح.

أنا من بحبك يرسي ويبحر.

أما أنت فلست سوى جارية .

امرأة مصنوعة من البلاستيك الملون.

أنت من دوني عنزة تهيم على وجهها في أسواق الكويت .

لم أعهد من سعيد أن يقول مثل هذا الكلام، يبدو أن المخدرات أخذت مفعولها إلى عقله وبدأ بالهذيان. لم أتمالك نفسي من العصبية والصراخ:

- أنا عنزة يا تبين؟ أنا تاج رأسك، أنا من صان أسرارك ولم أفضحك أمام الخلق. حاولت مرار وتكراراً أن أخبر أطفالك بأنك مريض، وأن عليهم الدعاء لك بالشفاء وطول العمر. أنا حرة بنت أبوي. أنت لا تعني لي شيئاً لا أريد أن تكون جزءاً من حياتي، وقد قلتها مسبقاً، أنت جيفة .

هذه هي آخر العشرة تنعتني بالعنزة. وأنت تعرف، يا سعيد الرويشد، كم حفيت قدماك حتى وافقت أمي على خطبتنا .

- من تظنين نفسك؟ لا أحد يملكك ولن يملكك غيري. هل تعتقدين أن رجلاً سوف يمتلكك؟ لا يوجد رجل في هذه الدنيا سوف يتزوجك. أنت ستعيشين في مقلب في حياتك أنك جميلة الجميلات وأن الرجال يحفون ويركعون عند قدميك. هل تظنين نفسك عشتر أم أفروديت؟ لقد قلتها أنك مجرد عنزة ولا أكثر من ذلك .

بدأت أفقد أعصابي، شعرت أن تنيناً بداخلي بدأ يخرج من جسدي ويلقي بنيرانه من عيني. حملت مزهرية كانت بقربي وألقيتها عليه وأنا أصرخ:

-سوف أتزوج سيد الرجال إن شئت أنا، ليس حباً بالزواج ولكن نكاية بك يا مسخ. وإذا لم تطلقني طوعاً سوف أذهب إلى الضابط المسؤول عنك وأخبره عن إدمانك، وأذهب إلى المحكمة وأخلعك من حياتي كما أخلع حذائي البالي. فاختر أيهما تشاء يا أخ العرب.

لم أستطع إصابة هدفي عندما قذفته بالمزهرية قام بصدها بساعده وارتطمت بالمرأة فتحطمت. فقدت أعصابي أكثر وزادت التشنجات حدة وبدأت بتحطيم كل شيء تصله يداي .

الجميع وقفوا من دون حراك، كأن الطير على رؤوسهم وكأن ألسنتهم  
لجمت. الكل بدأ بالتسلل على أطراف قدميه خوفا من شظايا الحطام  
تدمي قدميه.

\*\*\*

## الرحيل

عندما انتهيت منهم صعدت إلى غرفتي وتناولت حقيبتني وجمعت فيها أوراقى الرسمية، وحاجاتى، وغادرت المنزل وقد اقترب موعد أذان الفجر.

إنها الرابعة فجرا. إلى أين أذهب؟ هل أذهب إلى بيتنا وأحضن أمى وأخبرها بما حصل؟ لا لن أذهب إليها ففيها ما يكفيها، ثم أنى لا أريد سماع لوم أو عتاب بأنها نصحتنى أن سعيد الرويشد لا يناسبك .

قدت سيارتى على غير هدى، لا يوجد ازدحام فى الشوارع، كلها مضاءة ومفتوحة أمامى، والرطوبة خانقة جداً.

بدأت بتشغيل مساحات سيارتى وأنا أفكر فى العودة إلى أمى، بيتى الأول. شعرت بأن سيارتى تكلمنى وتقول "لا"... "لا" من خلال المساحات التى تجوب الزجاج الأمامى ميمنة وميسرة. وأنا يا سيارتى سوف أستمع إليك، لن نذهب إلى أى مخلوق أو أى مكان.

ساعة من الدوران فى الشوارع من دون هدف ثم وصلت إلى الشاطئ، فوضعت رأسى على المقود وبدأت بالبكاء.

شعرت ببركان ينفجر داخلى وحممه دموى تنهال على خدى بلا توقف. من أين تأتى هذه الدموع؟! أليس لها من نهاية؟

بدأت خيوط الفجر تلوح فى السماء وفلول الليل بالانسحاب. هناك بعض الصيادين على الشاطئ، الكل مشغول فى ترتيب شباكه لبداية صيد جديد. فيما شاب يرتدى الوزرة ينظر ناحيتى. كم وددت لو أنه جاء يسألنى ماذا أفعل فى هذه الساعة المبكرة على الشاطئ. وددت لو

أستطيع أن أخبره بما حصل معي وما هي حكايتي! وددت لو يحضني وأبكي على كتفيه .

تمنيت أن يناديني وأن يصحبني إلى الصيد معه ولا أمانع أبداً بأن أكون طعماً لسمكة قرش، أو أن يقطعوني أجزاء صغيرة وكبيرة ويلقوني في البحر طعماً لصيدهم .

لم يلتفت صوبي أحد، الجميع كان مشغولاً في بداية يوم يبحث عن رزقه، وأنا سوف أبحث عن رزقي.

وصلت إلى مكان عملي باكراً. طلبت إجازة لمدة أسبوع حتى أعيد ترتيب أموري، ثم استأجرت شقة مفروشة، بعد أن طلبت من أختي الصغيرة رنا أن تبقى معي. ولم أنتظر حتى اليوم الثاني. ذهبت مباشرة إلى المحكمة ورفعت قضية خلع على سعيد.

لم يطل الأمر كثيراً حتى حصلت عليه.

لكن حصولي على الخلع لم يكن إلا الخطوة الأولى من السلم الذي أردت صعوده. قررت أن أكمل دراستي الجامعية وأحصل على درجة البكالوريوس في الصيدلة، وهذا ما أخبرت به أمي فشجعتني، خاصة وأن أطفالها في أيد أمينة مع ذوي سعيد.

لم يطل الأمر حتى كنت في المطار أقدم جواز سفري للضابط من أجل ختم الخروج .

- وبين مسافرة إن شاء الله؟

- عمان

نظر إلى الجواز مرة أخرى:

- أمينة.
- مونتي نعم أنا.
- توقف الضابط عند كلمة مونتي. فابتسمت واعتذرت له وأنا أقول هذا الاسم الذي يعرفني به الناس وخرج مني عفويًا .  
ضحك وهو يقول:
- وأنا اسمي علي ولكن الجميع ينادوني "كارلو".
- ابتسمت ابتسامة خفيفة ورفعت نظارتي على شعري، وهو يتابع حديثه مبتسماً:
- "مونتي كارلو"، على أي تردد ممكن أن أسمعها من بعد الأذن طبعاً.
- تردد إف.إم.
- لو تعطيني تفصيلاً أكثر إذا ممكن.
- أنا مخطوبة، أنا متزوجة، أنا مطلقة، أنا مجنونة وما عندي خلق،  
جميع الموجات معطوبة .
- النداء الأخير للمسافرين إلى عمان.

-2-

برقع

كان الشيخ رزق الله أبو الفهد يقود مركبته على الطريق السريع عندما شاهد إحدى السيدات واقفة على قارعة الطريق مشيرة بيدها تنتظر من يقلّها. أوقف أبو الفهد سيارته وجلست السيدة في الكرسي الخلفي وبيدها مسبحة ذات التسع والتسعين حبة تسبح بها. أخبرها أبو الفهد بأنه ذاهب إلى مستشفى الملكة علياء لإجراء بعض الفحوصات الطبية اللازمة لتعيينه في وزارة الأوقاف كخادم وإمام لأحد مساجد مدينة الشرق القريبة من الزرقاء، حيث كان يعمل إمامًا في القوات المسلحة، وبعد تقاعده قرر العودة إلى العمل ولكن العائق الرئيسي أمامه بأنه "جسيم" و عليه أن يغيّر هذا الوضع. "إن شاء الله خير". تابعت السيدة:

- كم أنا محظوظة في هذا اليوم المبارك. أنا ذاهبة كذلك إلى مستشفى الملكة علياء لأجري بعض الفحوصات النسائية، والله ماأنا عارفة كيف أشكرك يا أبو...؟
- أبو الفهد، الكل يناديني بهذا الاسم. ابني فهد الآن في الصف الرابع، عند ولادته أصررت أن اسميه (الفهد) وليس فهد. رفض مدير الحوال بداية الأمر تسجيله بهذا الاسم، ولكن مع إصراري وعدم وجود قانون يحول دون ذلك سجلته كما أردت، أنا فخور به جدًا يا أخت...؟
- برقع، الكل يناديني بهذا الاسم، هذا هو اسمي، تحدثت بصوت منخفض نوعًا ما. وقالت في سرها: "آه لو يعلم بأن لقبني هو عكس اسمي!".

تابع أبو الفهد حديثه:

- قبل أسبوع وفي أثناء أخذ الحضور والغياب من قبل الأستاذ نادى: "فهد رزق الله"، فلم يرد ابني، عند إذ سأله الأستاذ:
- أنت جالس أمامي يا فهد، لماذا لا ترد؟!!

أجابه: أستاذ أنا اسمي (الفهد) وليس فهد.

ضحكت برقع ضحكة خفيفة، وحفظت اسم شيخنا. وفور وصولهما إلى المستشفى طلبت منه أن يساعدها في حمل حقيبتها فجنح الرجال قريب من العيادة النسائية. لم يمانع مساعدتها، وجلست على أحد المقاعد لتستريح، بعدها غادر أبو الفهد لإنهاء معاملته.

جاءت إحدى الممرضات إليها وطلبت منها أن تدخل العيادة، وسألتها إن كان معها أي مرافق. أجابتها: "زوجي معي"، وأشارت إلى أبو الفهد. قالت لها الممرضة:

- لا بأس، يبدو عليك التعب كثيرًا، سأذهب وأحضر الملف وأقوم بتعبئة جميع المعلومات المطلوبة.

عاد أبو الفهد إلى منزله، وذهب إلى المسجد لأداء صلاة العصر. دق جرس الهاتف في منزله. ردت زوجته على الاتصال. لقد كان صوت امرأة على الطرف الآخر تبارك لها بأن الله رزقه بأخٍ للفهد.



-3-

## النبي يوشع

شعرت السيدة نورا ببركلات خفيفة من جنينها على جدار رحمها، أصابها الهلع والخوف. دنت أكثر من زوجها وهي تراقب النسوة يحلبن الأغنام والبهم الصغير يحاول أن يصل إلى أمهاته للحصول ولو على رشفة حليب، والماعز الأسود يقفز فوق سلاسل الحجارة.

فرشت نورا المنديل ووضعت الخبز والطعام عليه، رأى زوجها شخصًا يركب حمارًا هزيلاً يمشي ببطء ويتجه صوبهما، وفور وصوله ربط حماره بحجر كبير. كان يرتدي ثوبًا داكن اللون وعمامة بيضاء تعلو رأسه، ومن خلال هيئته يبين أنه ليس من هذه المنطقة. قام زوجها مرحبًا به وبأدره قائلاً:

- تفضل واجلس معنا وكل من المقسوم، والله نصيبك يا ضيف الرحمن، لم نأكل حتى الآن أنا وزوجتي، ودائمًا هناك كمية من الطعام زيادة تحسبًا لأي ضيف أو عابر سبيل، فكما ترى كانت هذه الكمية من الطعام من نصيبك.

سبحان مقسم الأرزاق، يبدو أنك قادم من مكان بعيد، أنا عقيل المبروك والجميع ينادوني "أبو مبارك".

شكره الضيف على هذا الترحيب، وأخبره بأن الناس ينادونه بالشيخ رحمن.

غادرت نورا سريعًا بحجة تفقد الخراف، وبقي الرجلان وحيدين كل منهما ينظر إلى الآخر، لم يتكلم أيّ منهما وخيم السكون على الجميع. لم يكسر الصمت الا رنين جرس المرياع وثغاء الحملان المتراكضة بين القطيع. قام الرجل وتوجه إلى حماره، أخرج من الخرج حفنة من

الشعير ومد يده للحمار الذي سارع إلى التهامها بنهم وجوع شديدين وتمتم بكلمات: "لا يوجد الكثير من العلف يا حماري، مررنا بشتاء بارد وقارص، كنت أتوقع نفوذك ولكن الحمد لله، غداً أمامنا مشوار طويل. يجب أن ترتاح وأن تشبع".

طلب منه أبو مبارك أن يترك الحمار يرعى العشب وأن يوفر كمية الشعير للسفر. عاد الشيخ رحمن وجلس بجانبه، لاحظ وجود ثلاثة قبور بجانب بعضها عند مدخل سلسلة حجارة ليست ببعيدة عنهم. تملك الشيخ رحمن فضول شديد فسأل:

- لمن هذه القبور الثلاثة يا أبا المبارك؟  
أجابه أبو المبارك والحسرة تعتصر قلبه:

-إنهم أبنائي يا شيخ رحمن.

-لا بد أنهم استشهدوا في إحدى المعارك في حرب ما، فما أكثر الحروب في هذه المنطقة.

-لا، لا لم يستشهدوا أو يقتلوا في أي حرب. حقيقة الأمر أنهم ماتوا وهم في رحم أمهم وقبل اكتمال الشهر الرابع من الحمل.

- ولكن تبدو القبور كبيرة كقبور البالغين وليست لأجنة لم تولد ولم ترَ النور أبداً!

- هذه هي رغبة أمهم حتى تشعر بأنها أنجبت وكبروا وحاربوا واستشهدوا. أن يكون لهم معنى في الحياة. إنها حامل الآن، وأنهت شهرها الثالث من الحمل. نحن نعيش رعباً في النهار وكابوساً في الليل خوفاً من أن نخسر هذا الجنين. بدأنا نشعر بالكبر، والحمد لله على أية

حال. أخذ الشيخ رحمن نفساً عميقاً، وقال إنه مكث عدة أيام عند مقام النبي يوشع. سأل أبو مبارك الشيخ رحمن وبفضول أكثر:

- حدثني عنه أكثر يا شيخنا، كما تعرف معرفتنا و علمنا على قدنا وما نخرج من قرية الزنية إلا للضرورة القصوى. لم أسمع باسم هذا النبي، أخبرني يا شيخ عن النبي يوشع.

تنهد الشيخ رحمن وأخذ نفساً عميقاً، وقال:

- هو يوشع بن نون، يا أبا المبارك، نبي الله وخليفة النبي موسى في قومه، وهو الذي قاد بني إسرائيل وأخرجهم بعد أربعين عاماً من التيه في صحراء سيناء. وصل بيت المقدس يوم جمعة وقاتل أعداءه حتى العصر، فنظر إلى الشمس وهي تميل إلى المغرب. وتوجه بدعائه إلى الله بأن يثبت قرص الشمس في السماء، وألاً تتحرك حتى يسحق أعداءه وأعداء الله ويتحقق له النصر، فاستجاب الله لدعائه، فثبتت الشمس في موضعها وتحركت نحو المغرب بعد أن حقق النصر على أعدائه.

- هذه هي معجزات الأنبياء، ونحن في عصر لا معجزات فيه يا شيخ رحمن.

- لا تقنط من رحمة الله يا أبا المبارك، كل ما كنت أود أن أقول لك بأن الله وحده قادر على تثبيت حمل زوجتك، ولحسن الحظ أن مقام النبي يوشع هنا في مدينة السلط.

سمعت السيدة نورا حديث الشيخ رحمن وكأنه همس في أذنها. لمست بطنها المنتفخ وشعرت بسعادة غامرة لم تشعر بها طيلة حياتها. أخبرت زوجها بأن الله قد ساق لهما هذا الشيخ المبارك لينير لهما طريق تثبيت حملها. سوف نذهب إلى مقام النبي يوشع تبركاً به لعل وعسى أن يرزقنا بولد. لم يمانع زوجها ذلك واتفق مع أحد تجار الأغنام الذي يتعامل

معهم أن يقلهم بسيارته اللاند روفر من مخلفات الحرب العالمية الثانية، لا يهم ما هو نوعها أو سنة صنعها، بل الأهم أنها تسير. وافق على ذلك مقابل خروف كل شهر.

في كل يوم جمعة بعد صلاة الفجر ينطلق مع زوجته نورا، يجلس جانب السائق وهي تجلس في المقعد الخلفي. بعد ساعتين من السفر في سيارة اللاندروفر وصلوا إلى مقام النبي يوشع. كلاهما صلى ركعتين شكرًا لله تعالى. سرت قشعريرة في أوصال نورا عندما رأت ضريح النبي يوشع. اندهشت من طول الضريح رآته عملاقًا مغطى بغطاء أخضر مزركش بآيات من القرآن الكريم مكتوبة بماء الذهب. حاولت أن تتكلم مع زوجها، ولكن عقدة لسانها لم تحل، لم تقوَ على الكلام. التفتت إلى زوجها وأشارت بأصبعها إلى الضريح. لم تكن تردد سوى دعاء واحد:

- إني أستغيث بك يا ربي بأن تثبت حملي في رحمي كما استغاث بك نبيك يوشع بأن تثبت قرص الشمس في كبد السماء.  
كانت تريد كسب معركتها مع حمل جنينها كما كسب النبي يوشع معركته مع أعدائه.



-4-

هكذا تزاخ الكراسي

لم تكن المقاهي منتشرة في مدينة الزرقاء أيام الانتداب البريطاني كما هي في وقتنا الحاضر، وكان مقهى النصر أشهر المقاهي في المدينة، والذي لا يبعد كثيرًا عن محطة القطار.

وكان من رواد المقهى شبه الدائمين مجموعة من الشباب مفتولي العضلات، يقضون معظم وقتهم في لعب ورق الشدة، ولا يقومون بأي عمل إلا بعد موافقة زعيمهم، ومن صفاته أنه كان طويل القامة، وممتلئ الجسم، ذا شوارب معقوفة تكاد ترتبط بشعره الكثيف الطويل، كما أنه جريء إلى حد التهور. لا أحد يعلم اسمه الحقيقي، فالجميع ينادونه (الغربال).

في إحدى الأمسيات، جاء إلى المقهى أحد الضباط الإنجليز، وقع نظره على طاولة فارغة بجانب طاولة الغربال. سحب الضابط أحد الكراسي المتناثرة ليجلس عليه، ولكن الغربال أزاح الكرسي من تحته بخفة وبحركة سريعة؛ مما جعل الضابط الإنجليزي يسقط على الأرض وقدماه ترتفعان إلى الأعلى. تعالت الضحكات والقهقهات في جوانب المقهى. نهض الضابط من فوق الأرض، ونفض الغبار عن ملابسه وشارك زبائن المقهى ضحكاتهم وكأن شيئًا لم يكن.

اقترب الضابط من الغربال ومد يده له مصافحًا، وقال:

- أهنتك على هذه الجرأة والشجاعة. كثيرون من أمثالك لا يملكونها وأنت الوحيد المميز والذي قام بإزاحة كرسي من تحت ضابط إنجليزي.

تفاجأ الغربال بردة فعل الضابط، وأجاب:

- لم أتوقع هذا الثناء والمديح.

- وماذا كنت تتوقع؟
  - كنت أتوقع عراقًا بالأيدي أو أقلها شتائم نابية.
  - أنا بصراحة معجب بك وجميع طلباتك من المقهى على حسابي الخاص. أنا جدًّا محظوظ بأن ألتقي بشخص مميز مثلك.
  - أنا خادمك الغربال.
  - وأنا النقيب كوبر. هذا رقم تلفوني وأي مشكلة قد تقع فيها. اتصل فقط على هذا الرقم.
- شعر الغربال بنشوة غامرة كست عضلاته المفتولة، وبأن ظهره مسنود إلى خرسانة من الصلب. وبدأت تصرفاته الصبانية تزداد يومًا بعد يوم، وعندما تلقى الشرطة المحلية في مدينة الزرقاء القبض عليه دون أن يستطيع الإفلات؛ يتصل مع النقيب كوبر ويرد عليه:
- أنا معك ودائمًا معك يا الغربال. تصرف كما تريد، وأية مشكلة تقع فيها سأقتلعك منها كما أقتلع الشعرة من العجين، ويأمرهم بإطلاق سراحه.
- اعتاد النقيب كوبر في بعض الأحيان أن يأتي إلى المقهى ويلتقي بالغربال. وفي إحدى المرات، اقترب النقيب كوبر من الغربال، وهمس في أذنه:
- تعجبنى شجاعتك جدًّا يا الغربال وقد أحضرت لك مسدسًا لحماية نفسك، لا تستعمله إلا عند الضرورة القصوى، أنا أتق بك ولا تخبر أحدًا بشأن المسدس حتى لا تتم مصادرتة.
  - أجابه الغربال بصوت منخفض:
  - شكرًا لك سيدي. سأكون حريصًا جدًّا وأعتبر هذا الأمر طيًّا الكتمان.

كان الغربال من زبائن المزادات الأسبوعية التي تقام في وسط البلد بعد صلاة الجمعة. وكان إذا ما أعجبه شيء أخذه إما بالتراضي أو بالقوة. وفي أحد المزادات، أعجبه معطف من الجلد الفاخر، بلغت قيمة المزاد عشرين دينارًا، غير أنه لا يملك هذا المبلغ. افتعل مشاجرة واشتركت جماعات كثيرة في العراك ولكنه اصطدم بأحد الأشخاص من طوال القامة. كان يفوقه طولًا وبدانة، أصلع الرأس وكثيف الشارب. وقع الغربال على الأرض ولم يستطع النهوض ولم يرَ فوقه إلا سحابة سوداء تكتم أنفاسه فلم يستطع الحراك بحرية. حينئذٍ أخرج المسدس من جوب قدمه اليسرى وأطلق عدة رصاصات على الرجل الضخم الجاثم على صدره ليسقط أمامه مضرجًا بدمائه. تعالت صيحات الهلع والفرع بين الجموع خوفًا من الإصابة برصاصة طائشة.

اعتقل الغربال وزج في السجن بتهمة القتل العمد. طلب الاتصال بالنقيب كوبر الذي بدوره قال له :

- لا تخف يا الغربال، كما قلت سابقًا أنا معك وسأبقى معك طوال الوقت، ولكن كما تعلم يجب محاكمتك ليأخذ القضاء مجراه، وأكرر يا الغربال بأني سأبقى معك.

استمرت محاكمة الغربال ثلاثة أشهر، وأخيرًا أصدر القاضي حكمه بالإعدام شنقًا على السيد الغربال. في صباح اليوم المحدد لتنفيذ الإعدام، حضر النقيب كوبر إلى ساحة الإعدام ومعه كرسي. طلب من الجلاد أن يقف المحكوم عليه بالإعدام والمدعو بالغربال على هذا الكرسي تحديدًا. وبينما حبل المشنقة يلتف حول رقبة الغربال، اقترب منه النقيب كوبر وقال له:

- هل تذكر هذا الكرسي يا الغريبال؟
- لا أذكره. أرجوك انقذني أيها النقيب كوبر كما وعدتني وبأنك لن تنساني، ولن تتخلى عني أبداً.
- هذا الكرسي هو نفسه الذي أزحته من تحتي في المقهى في أول لقاء لنا، وبالتأكيد لم أنسك.
- ركل النقيب كوبر الكرسي بكل قوته بقدمه وهو يصرخ: "هكذا تراح الكراسي".



-5-

عندما يكون القمر شاهداً

لم يكن مبارك شاباً عادياً إذ كان من خيرة شباب إحدى القبائل البدوية التي تقطن شمال الأردن. كان محباً لأهله وعشيرته وقبيلته، ولا ينكر أحد شهامته ونخوته ورجولته. وفي أي مجتمع، لا يخلو الأمر من الحسد والغبرة يصيبان المرء ومن أقرانه بالذات. كان عويّد أكثر شخص يغار منه وعلى الرغم من ذلك لم يظهر لمبارك أية ضغينة في العلن.

وكان مبروك يعشق الذهاب إلى قصر برقع الواقع في أعماق الصحراء للصيد، ففي فصل الربيع الجميل يكثر طير الحجل ويتخذ من بقايا حجارة القصر المهملّة أعشاشاً له. صاد الكثير من الحجل وقرر شيّه والمبيت قرب غدير برقع، ويقع بمحاذاته وادٍ يسمى وادي برقع. كانت ليلة قمراء جميلة رائعة، حيث كان القمر مكتملاً في يومه الرابع عشر والسكون المطبق يخيم على الأجواء لا يعكر صفوه غير نسيم الرياح القادمة من أسفل الوادي. أشعل النار وبدأ الحطب بالاحتراق وتساعد الدخان عاليًا، والنار تؤنس موقدها، وكما يقال: "النار مثل الأم بتلم"، وهي ملجأ الغريب والمسافر والتائه.

بدأ بشي اللحم وتقليبه على الجمر. سمع حركة قادمة من الأعلى من صوب قصر برقع، فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، وأوجس في قلبه خيفة وتذكر قول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيّر

انتصب كالرمح مستلاً سيفه، وصاح بأعلى صوته:

- مَنْ هناك؟ صديق أم...؟

- صديق، صديق يا أخي مبارك، أنا عويّد رفيقك.

بدأ الهدوء يعود إليه شيئاً فشيئاً ودبّت الطمأنينة في قلبه، فقال مرحباً:

- أهلاً بك وبالساعة التي سافقتك إلينا يا رفيقي يا عويّد، أتيت في الوقت المناسب. ما زلت أشوي الحجل، لنا نصيب أن نأكل مع بعضنا.

بدأ الحديث والتسامر والمبارزة في قول الشعر بينهما. وفي أكثر من

مرة يذكر مبروك فتاة القبيلة "كمايل" ويتغنى بجمالها وحسنها ونسبها. تسللت الغيرة إلى نفس عويّد، بدأت أنفاسه تتلاحق، "مبروك يعشق الفتاة التي أعشقها؟! يا للهول؟!". كلمات أسرها في نفسه، فهو لا يستطيع البوح بحبها أمام مبروك، فهو يعرف جيداً في قرارة نفسه بأنه ليس ندّاً له. تغلغت الغيرة أكثر في نفس عويّد عندما سمع مبروك يقول بأن يوم المنى هو يوم زواجه منها.

بدا عويّد مشلول التفكير أعمى البصيرة. رأى طيف كمايل أمامه تناديه وتستغيث به:

"أنقذني من الظلم يا عويّد".

قام مبارك بجلب الحطب وجثا على ركبتيه لتلقيم النار. انقض عليه عويّد من الخلف على حين غرة واضعاً خنجره على الوريد.

- ههه، سأقتلك يا مبارك ولن يعرف أحد من الفاعل، فليس هناك أي شاهد.

نظر مبارك إلى القمر في السماء ورأى القمر مكتملاً. ابتسم قائلاً:  
"يكفي بأن القمر شاهدي".

لم يعرف أيّ شخص في القبيلة من الذي قتل مبارك. ولم تقبل كمايل  
الزواج من عويّد، الذي غضب وقرر الزواج من فتاة من قبيلة أخرى.  
وبعد عام على حادثة مقتل مبارك. كان عويّد مستلقياً على ظهره أمام  
خيمته وبجانبه زوجته، نظر إلى السماء فرأى البدر مكتملاً، ابتسم ثم قهقه.  
سألته زوجته:

- لماذا تبتسم هكذا وأنت تنظر إلى القمر؟!  
- لا شيء يا امرأة. لا شيء.

ولكنها أصرت على أن تعرف سبب ابتسامته. وتحت رجائها  
وإلحاحها وإصرارها، أخبرها أنه هو من قتل مبارك في ليلة قمرء  
وكان القمر بدرًا مثل هذه الليلة.

"قلت له ما من شاهد على قتلي لك"، فردّ قائلاً: "يكفي بأن القمر  
شاهدي". صممت زوجته ولم تنبس ببنت شفة ووعدته أن تكتم  
سره.

ولكن أيام السعادة لا تدوم، حيث نشب شجار بين عويّد وزوجته،  
ورمى عليها يمين الطلاق ثلاثاً. تقبّلت الأمر وذهبت إلى شيخ القبيلة  
لتخبره حقيقة قتل مبارك.

-6-

بعد شهر العسل

استيقظت عبير مبكرة صبيحة أول يوم لها في بيتها الجديد. لقد عادت وزوجها مروان من شهر العسل ليلة البارحة، وقد كان وقتاً رائعاً قضياه في جزيرة (رودوس) اليونانية.

"في مساء هذا اليوم سيأتي الأهل لمباركة زواجنا، ويجب أن نستعد لاستقبالهم. لا يوجد شيء للضيافة، سنحتسي القهوة ثم ننتقل إلى التسوق". فكرت عبير وهي تتطلع بلهفة للذهاب مع زوجها للمرة الأولى إلى السوق، فهما في أول خطوة وعلى أول عتبة من حياتهما معاً.

وضعت دلة القهوة على عين الموقد الصغيرة. أشعلته وذهبت لتحضر قطعيتين من الشوكولاتة التي حرصت على أن تشتريها من النوع الفاخر من السوق الحرة في المطار. كانت تريد أن تفاجئ عريسها مروان وأن تحضر له القهوة وحبّة شوكولاته في السرير. عادت إلى المطبخ لتسكب القهوة.

صرخت فجأة بصوت عالٍ: "فأ... فأ...ر". نادت بصوت مرتفع: "مرو...ان...مروان، فأر في المطبخ، أنا مرعوبة، أنا خائفة جداً، سكبت القهوة على أرضية المطبخ من شدة خوفي".

كررت النداء بصوت عالٍ:

- أين أنت يا مروان!؟

دخل مروان المطبخ وهو يتثائب باسماً ذراعيه إلى الأعلى والأسفل في حركات رياضية ليستعيد نشاطه:

- أين الفأر يا عبير؟

اقتربت من مروان ممسكة بيده محاولة أن تختبئ خلفه لحمايتها من هذا المخلوق الشرير.

- إنه هناك في الزاوية ينظر إلينا. تخيل، إنه كالوحش يريد أن يلتهمنا.

- ما هذا الهراء يا عبير؟ وحش يلتهمنا! إنه مجرد فأر صغير، سوف أصطاده وأعاقبه على قلة أدبه، فقد قام بإزعاجك وأنت ما زلت عروسًا.

ركض مروان نحو الفأر ولكنه كان أسرع منه، قفز فوق الطاولة الموجودة في وسط المطبخ. طلب من عبير أن تغلق الباب تحسبًا لهروبهم. أطبقت الباب بقوة وبعصبية. ركض مروان خلف الفأر ولم يستطع أن يقبض عليه. وقعت عيناه على سلة الزبالة فهرع إليها. هذا هو الفخ الذي سأصطاد به الفأر. انتظر لحظة صمت، واعتبرها هدنة بينهما. السكون سيد الموقف الآن. همست عبير في أذنه:

- إنه ينظر إلينا بعينين لامعتين، الآن فرصتك للهجوم والقبض عليه.

لم تنته عبير من كلمتها الأخيرة حتى رأت مروان يضغط على السلة معلنًا انتصاره والقبض على الفأر اللعين. ابتسم من نشوة النصر ورأى بسمة الفوز تملو شفطي عبير. مد يده بكل هدوء أسفل السلة وقبض على الفأر اللعين من ذيله، وأخرجه رافعًا إياه إلى الأعلى:

- هذا هو الفأر الحقير الذي أخافك يا حبيبتي؟! إنه الآن في قبضتي وسألقنه درسًا لن ينساه. رفعه أعلى وأعلى وهو يلوح به ممسكًا

به من ذيله وفاغراً فمه وهو يكيل له سيلاً من الشتائم والسباب  
جزاء له على تكبيره صفو يومهما الأول في بيتهما الجديد.

بدأت سبابة وإبهام مروان الممسكتان بالفأر بالتعرق. وبدأ الفار  
يتملل وهو يحاول التملص والهروب إلى أي جحر يراه أمامه،  
ونجح أن يسقط في فم مروان ومن ثم استقر في حلقه.

أغلق الفأر مجرى النفس بالكامل، فارتمى مروان على الأرض  
جثة هامدة بلا حراك ليتسلل المخلوق الصغير خارجاً باحثاً عن  
جحر جديد.

-7-

عندما يطرق الحظ بابك

سقطت بغداد. سقطت حاضرة العباسيين. سقطت عاصمة الرشيد.  
سقط العراق، وسقط معه أمل الأمة العربية. كان يوماً أسود في  
التاريخ الحديث للأمة العربية، غدت العراق أسيرة تحت نير الاحتلال  
الأمريكي. يا الله! التاريخ يعيد نفسه، إنهم مغول النظام العالمي  
الجديد.

عبد الحافظ شرطي في معبر الرويشد ما بين الأردن والعراق. كان  
شرطياً محبوباً وجميع زملائه ورؤسائه ينادونه باسم (حافظ). نشأ  
يتيم الأب يعيش مع أمه وأخته في قرية دخل في محافظة المفرق،  
ورغم صعوبة وضعه المالي كان دائم الشكر والحمد لرب العالمين  
وخير الرازقين.

كان يقوم بواجبه بضبط وتنظيم رتل السيارات المغادرة من العراق  
باتجاه الأردن. أمعن النظر باتجاه رتل سيارات لم يرَ نهايته. ولكنه  
تابع تنظيم ومرور المركبات من خلال الحواجز المخصصة لها.  
كانت حركة المركبات بطيئة جداً. ترجل شاب في منتصف العمر من  
سيارته الفارهة الكبيرة ذات الدفع الرباعي، اتجه صوب حافظ وطلب  
منه أن يساعده في عبور الحاجز ونقطة التفتيش. أخبره حافظ بأن  
مناوبته سوف تنتهي بعد نصف ساعة وبعدها يغادر إلى قريته دخل،  
قال حافظ:

- إذا من الممكن توصلني بطريقك انتظرني، حفلة زواج أختي غداً  
والمواصلات صعبة.

فكر الشاب بالعرض، نصف ساعة ليست بالمدة الطويلة إطلاقاً، ربما يحتاج إلى بضعة ساعات لعبور ذلك الحاجز اللعين. نظر إلى حافظ، وقال:

- تأمر عيني، أنا بانتظارك.

انطلق الاثنان باتجاه قرية دخل وعند وصولهما إلى بيت حافظ أصر أن يقوم بواجب الضيافة، قبل الشاب الدعوة بشرط شرب الشاي فقط؛ لأنه ملزم بجدول أعمال مزدحم ويجب أن يكون في عمان بأسرع وقت. وبعد تناول الشاي حان وقت المغادرة، أمسك الشاب بيد حافظ وفتح الباب الخلفي للسيارة، اندهش حافظ عند رؤيته كثرة الحقائب المصفدة فوق بعضها.

طلب منه الشاب أن يختار حقيبة. رفض حافظ العرض وقال:

- أنا ساعدتك مقابل أن توصلني إلى قريتي، نحن متعادلان.

تناول الشاب حقيبة عشوائية. وضعها على الأرض وانطلق مسرعاً. وقف عبد الحافظ مندهشاً أمام هذا الموقف، لا يعرف ماذا جرى وماذا سيفعل. شعر بقدوم أمه وأخته. سألته أمه:

- ماذا يحدث يا حبيبي "حويفظ"؟

أخبرهما بما حصل معه. حمل الحقيبة إلى داخل المنزل وعندما فتحها وجدها مليئة بالدولارات.



-8-

عندما لا يطرق الحظ بابك

مجموعة من الرجال الجالسين على تلة في عصر يوم ربيعي من أوائل أيام نيسان. بدأت الرياح تحرك التراب وتسحبها من تحت أقدامهم نحو الأرض لتغطي الطرقات الترابية المنحدرة المتعرجة. الجميع يراقبون الخراف المنتشرة مع قطع الأغنام تجري بحبور وتعود إلى أمهاتها فرحة بهبوب النسيم وغازرة العشب ووفرتة، فقد كان عام خير بعد سنتين من الجفاف.

لاح من أسفل الطريق شخص أسمر البشرة ذو لحية متوسطة الطول يخالطها البياض يمشي على قدميه نحوهم.

نظر أحد الجالسين إلى كبير تجار الأغنام رشدي الذي حضر

لشراء جميع الخراف، وسأله:

- أليس ذلك الرجل أخاك راشد؟

- نعم، هو بعينه ولا أحد سواه.

- لقد أنعم الله عليك، وعندك من الخير الكثير، فلماذا لا تهب له

بعض المال لوجه الله تعالى؟

- لقد حاولت مرارًا وتكرارًا، ولكن الرزق بين يدي رب العالمين

وليس بيدي. على أية حال، هذه الصرة التي ترونها بين يدي

تحتوي على كل المال اللازم لشراء الخراف. اذهب أنت وضعها

في طريقه لعله يعثر عليها وهي حلال عليه.

ذهب الرجل كما أمره رشدي ووضع صرة المال في طريق أخيه  
راشد، كي يتعثر بها على اعتبار أنه وجدها وهي من حقه.  
راقب الرجال راشد بكل اهتمام وهو يخطو نحوهم. قبل وصوله  
لمكان الصرة بخطوات نادى عليهم بصوت عالٍ:  
-من منكم يريد المراهنة بأنني أستطيع الوصول إليكم وأنا مغمض  
العينين؟!!



-9-

مستر طوني

كانت عطلة نهاية الأسبوع مملّة بالنسبة لعزیز، فلیس لده معارف یزورهم. وفی أحد آیام الأحاد عندما كان عائداً من التسوق، وجد جاره جالساً فی الفیراندا یحتسی كأساً من البیرة. ألقى علیه التحیة ودعاه الآخر للجلوس. لم یرفض عزیز الدعوة. جلس أمامه، واعتذر عن شرب البیرة ؛ فرحب به وطلب له فنجاناً من القهوة، وأخبره بأن اسمه طونی، أجابه بأن اسمه عزیز وهو من الأردن، موجود هنا لفترة أربعة أشهر من أجل التدریب الفنی. فرح طونی كثيراً، وقال له باللغة العربیة:

- یا أهلاً وسهلاً.

ابتسم عزیز وسأله:

- من أين تعرف اللغة العربیة؟

أجابه طونی وهو یرتشف البیرة:

- كنت فی مصر فی الحرب العالمیة الثانیة.

- وكیف وصلت هناك یا سید طونی؟

أخذ نفساً عمیقاً وأتبعه برشفة أخرى من البیرة:

-كنت أحد أفراد الجیش الإيطالی خلال الحرب العالمیة الثانیة، أنا

فخور جداً لأننی كنت جندياً فی الجیش العاشر، وأذكر تماماً ذلك

الیوم عندما أرسل موسولینی تعلیمات صارمة إلى المارشال

جراتسیانی لغزو مصر للاستیلاء على قناة السویس والسیطرة

علیها وسحق أي قوات تعترضهم، وختمها بعبارته الشهیره "لا

رحمة في الميدان"، وأمر المارشال جراتسياني الجنرال بيرتي قائد الجيش العاشر بتنفيذ العملية.

انتشرت شائعات مفادها أنه في غضون أسبوع يجب أن نتحرك. اعتقد معظمنا أنه من غير الممكن التحرك خلال أسبوع أو تحقيق هدف موسوليني. ولكن نفذنا الأوامر وتحركنا خلال أسبوع وفضلنا في الاستيلاء على قناة السويس والتوغل في مصر ومهاجمة أية قوات تواجه الجيش. لقد خسرنا الحرب، قررت أنا وأربعة جنود آخرين الهروب من محطتنا في السلوم للذهاب إلى الإسكندرية، قيل لنا أن هناك جالية إيطالية كبيرة هناك وسوف نكون

بأمان. وصلنا إلى الإسكندرية وتعرفنا على مجموعة من الإيطاليين من مختلف الأطياف السياسية، كل مجموعة تحاول أن تضمنا إليها، مجموعة تطلق على نفسها اسم (الفدراليين الإيطاليين) وهي من الطبقة البرجوازية الغنية والتي لها مصالح متبادلة مع الإنجليز وسياستها ضد الفاشية الإيطالية. وهناك (الجمعية المصرية الإيطالية) وهي جمعية (البروليتاريا) وتمثل الغالبية المهمشة من الطليان، والغريب في الأمر أنهم كذلك ضد الفاشية الإيطالية لأن تطلعاتهم وأحلامهم شيوعية وبالتالي أهدافها لا تلبى طموحاتهم.

كانت هناك حركة بحرية نشطة ما بين مدينة الإسكندرية واليونان. حاولنا الهروب إلى اليونان ومن ثم إيطاليا ولكن لم ننجح، ومما زاد الأمر سوءاً كان غزو اليونان من قبل دول المحور. تحطمت آمالي و عدلت عن الفكرة في حينها وأجلتها لحين تحسن الظروف.

وأذكر جيداً أنه في أحد الأيام كانت هناك حركة غير اعتيادية في الإسكندرية، وعرفنا من المقربين بأن الملك فاروق سوف يقضي

بضعة أيام فيها. كان صديقي بيترو فرحًا جدًا، في الواقع كانت تلك أول مرة أراه فيها بهذا الفرح الغامر، وعند سؤالي له أجاب:

- إنها فرصة أن أرى صديقي جيو جارو. فرصة ذهبية لا تقدر بثمن يا عزيزي طوني.

فقلت له: لم تذكر لي أبدًا أي صديق لك بهذا الاسم، من أي قمم خرج؟! ومن هو هذا صديقك جارو؟

- إنه جارو حلاق الملك الخاص، ويجب أن أراه. لقد سمعت بأنه سوف يمكث في البناية المجاورة لقصر الملك يجب أن أراه بأية وسيلة. قالها وهو يرتشف آخر رشفة من زجاجة البيرة.

- بطريقة ما نجح بيترو في لقاء جارو وجلبه إلى المقهى الذي اعتدنا الجلوس فيه، وتبادلنا الأحاديث وقد وعدنا بأن نكون ضمن طاقم القصر الخاص تحت حمايته وإمرته.

ابتسم عزيز ابتسامة خفيفة وسأل السيد طوني:

- أود أن أعرف ما هو دورك في طاقم القصر الخاص؟ من المؤكد أنك كنت من ضمن الحرس الخاص والمقرب للملك.

- لا أبدًا. كنت رئيس الطهاة للمطبخ الإيطالي في القصر.

ضحك عزيز بصوت عالٍ ولم يتمالك نفسه من كثرة الضحك:

- ولكن قلت لي بأنك كنت ضمن الفيلق العاشر.

رد عليه السيد طوني بكل برود:

- نعم صحيح، لم أكن جنديًا مقاتلاً، بل كنت طاهياً.

مكثت في قصر الملك أعمل طاهياً ومتخصصًا بالمطبخ الإيطالي حتى وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها. وكنت على متن أول باخرة

تغادر الإسكندرية. كان الكثير من الجنود الطليان على متن الباخرة التي أقلتنا من ميناء الإسكندرية إلى ميناء بيرياس اليوناني، مكثت في أثينا بضعة أيام حتى تدبرت أموري ووجدت شاحنة متوجهة إلى إيطاليا، وزادت سعادتي عندما عرفت أن السائق من نفس مدينتي بولونيا.

وصلت إلى المنزل مع حلول الظلام. نظرت من النافذة ورأيت أمي متزينة ومتبرجة بأفضل حالاتها. هذه أول مرة أرى أمي مهتمة بنفسها بعد أن توفي والدي وأنا ابن تسع سنوات في انهيار منجم تعدين النحاس في جنوب إيطاليا.

لا أستطيع أن أصف فرحتي عندما لمحت طيفها. كيف عرفت بأني قادم إليها في هذه الليلة؟ إنه قلب الأم وهو دليلها كما يقولون. رأيتها ملاكًا يشع نورًا يخترق كل الحواجز ويصل عنان السماء، هالة من النور تنتظر قدومي، ابنها الوحيد طوني.

رأيتها عروسًا في ليلة زفافها، خائفة وخجلة. نظرت إلى وجهي، حدقت في عينيها مليًا، لم أنبس ببنت شفة. أطفأت نور المطبخ واختمت طيفها، قرعت الجرس ولا مجيب. جلست على درج مدخل البيت ملتحفًا معطفي. غفوت من شدة التعب ولم أصح إلا على ركلة قدم رجل خرج من منزلنا مع شروق الشمس.



**-10-**

**مستر جوردان**

امتدت يد عبد العزيز إلى المنبه حتى يسكته، إذ كان بين اليقظة والنوم. لم يكفّ المنبه عن الرنين، فقفز من فوق فرشته نحو المنبه لينقض عليه ويخرسه، وعندما نظر إليه توقف برهة وضحك على نفسه، لقد عمل بنصيحة صديقه ووضع المنبه داخل الطاسة حتى يعلو رنينه.

مضى على وجوده في ولاية فرجينيا الأمريكية شهران، يريد الذهاب إلى البنك، منذ قدومه فتح حسابًا في البنك ووضع شيكات سياحية برسم التحصيل، وكل مرة يزور البنك، يسأل إن تم تحصيل المبلغ أم لا، ثلاثة آلاف دولار مبلغ كافٍ لسداد الديون التي تراكمت عليه، والأهم هو دفع أجرة المنزل الذي يقطنه. فتح باب شقته نصف فتحة وحاول أن يخرج منه بدون إثارة أية ضجة. كان يعلم بأنه إذا فتح ذلك الباب اللعين يصدر أزيزًا مزعجًا، وربما تسمعه صاحبة البيت التي تذكّره صباحًا ومساءً بتأخره شهرين عن دفع الإيجار. خرج مسرعًا من الباب شعر برائحة الخريف تنعش رنتيه وألوان الأشجار تسحر عينيه. تأمل هذه المناظر الجميلة ولم يقطع شروده إلا صوت السيدة ميروندا من شرفتها في الطابق الثاني. تراقب الناس يأتون ويذهبون ويمشون ويضحكون ويتسوقون، لا شيء تفعله، فهي تجد متعة في ذلك، تحب أن تعرف كل ما يجري في هذا الحي الوديع الهادئ، واسم كل مخلوق يمشي على قدميه:

- صباح الخير مستر جوردان.

نظر إلى ظهرها وأوماً برأسه:

- صباح الخير سيدة ميروندا.

- هل حصلت على قسطٍ كافٍ من النوم ليلة أمس مستر جوردان؟

- أوه، نعم، لقد نمت على الأريكة كجثة هامدة، كنت متعبًا جدًا، استيقظت للتو منذ نصف ساعة، على أية حال أنا ذاهب إلى البنك، أمل أنهم قاموا بتحصيل أموالِي.

- من الجيد سماع ذلك، لذلك سأحصل على أموالِي اليوم أيضًا، سأكون سعيدة جدًا يا مستر جوردان.

صدرت منه زفرات تدل على حسرته وقال محدثًا نفسه: "الآن بدأت أشعر بمرارة المسكين مع العجوز صاحبة البيت في رواية الجريمة والعقاب، وجريمة في الحي الهادئ".

الجميع يعرفونني باسم (مستر جوردان). لقد حاولت مرارًا وتكرارًا أن أوضح لهم بأن اسمي هو (عبد العزيز) ولكنهم يفضلون مناداتي بمستر (جوردان) كوني قادمًا من الأردن. من المؤكد أنني سأغادر هذا الحي القدر، لقد سئمت رؤية هذه الوجوه الشاكية كل يوم.

وصل مستر جوردان إلى البنك حوالي الساعة التاسعة والنصف صباحًا، وكانت قاعته مزدحمة للغاية، ومن الطبيعي أن تكون مزدحمة في صبيحة يوم الإثنين في اليوم الأول من الأسبوع. جلس على مقعد فارغ في قاعة الإنتظار منتظرًا أن تخف الأزمة ويذهب للسؤال عن تحصيل شيكاته السياحية التي وضعها برسم التحصيل في

حسابه البنكي. فجأة سمع صوتاً نسائياً رخيماً ينادي: "مستر جوردان،  
مستر جوردان".

لم يستطع أن يصدق ما سمعت أذناه، إنها تناديني باسمي، على الرغم  
من أنني لم أنتظر في الطابور ولم أتحدث إلى أي موظف في البنك،  
يبدو أنهم حفظوا اسمي وشكلي من كثرة ما أتيت وسألت عن أموالي.  
نهض من مقعده وهرول نحو مصدر الصوت، وجد نفسه أمام موظفة  
شابة حسناء جميلة جداً، حبس أنفاسه، وقال وهو يتلعثم في حديثه:

-أنا... أنا مستر جوردان.

سألته والابتسامة تغازل شفثتها:

-هل يمكنني رؤية بطاقتك الشخصية، من فضلك مستر جوردان.

-نعم، نعم، هذا هو جواز سفري.

ناولها جواز سفره. وهو يبتسم. وأخيراً فرجت. فتحت الموظفة جواز  
سفره، ثم نظرت إليه وقالت:

-لا أستطيع أن أرى اسمك مدوناً هنا يا مستر جوردان؟

-اسمي مكتوب هناك يمكنك رؤيته. وأشار بأصبعه على مكان اسمه  
باللغة الإنجليزية.

-أرى أن الاسم مكتوب هنا هو:

Mr. Ab....dul Al- Az ...iz...Sala...mat. -

وتابعت قائلة:

-هل هذا اسمك أم ماذا؟

-نعم... نعم. هذا اسمي عبد العزيز سلامات، لكن كل شخص يعرفني هنا ويدعوني باسم مستر جوردان لأنني قادم من الأردن.  
أجابته بكل لطف:

- سيدي ناديت على الشخص الذي اسمه مستر جوردان، ولم أنادِ على من هو قادم من الأردن؟!!

نظر عزيز إلى جانبه الأيمن ورأى رجلاً في منتصف الأربعينيات،  
اقترب من الموظفة، وقال لها:

-أنا مستر جوردان، وهذه بطاقتي الشخصية.

تأملت الموظفة جهاز الحاسوب أمامها والتفتت إلى عبد العزيز وقالت  
له، وهي تبتسم:

- تم تحصيل شيكاتك السياحية قبل ستة أسابيع.



-11-

عندما يفسر عزيز أسماء  
الله الحسنی

الجميع في الوحدة العسكرية التي يتدرب فيها عبد العزيز يتحدثون بأن يوم الخميس من الأسبوع القادم سيكون عيد الشكر وأنها عطلة وطنية. لم يستطع عزيز تكوين صداقات متينة في هذه المدة الوجيزة من وجوده في فيرجينيا. اقترب منه المدرب أووين، وسأله:

- أين ستقضي يوم عيد الشكر يا سيد عزيز؟

أجابه عزيز بأنه لا يعرف أين سوف يقضيه، ومن المحتمل أن ينتزه في الحديقة الكبيرة. فطلب منه المدرب بأن يكون ضيفه. وصل عزيز بيت المدرب أووين عند الظهر، ورحب به وكذلك زوجته كيت كل الترحيب.

وبدؤوا يتجادبون أطراف الحديث عن العسكرية والانضباط. أخبره عزيز بأن هذه هي المرة الأولى التي يخرج من الأردن ضمن الفريق الفني للتدريب على الأسلحة المتوسطة. وأخبره أووين بأنه قرأ الكثير عن الشرق الأوسط وقبل أسبوع قرأ مقالة بعنوان: "لماذا يخسر العرب الحروب؟".

لم يعرف عزيز ماذا يقول؟ شرد تفكيره بعيداً ولم ينفذه إلا صوت زوجة أووين تنادي عليهما ليحضرا إلى المائدة فقد أصبحت جاهزة. كانت مائدة رائعة يتوسطها الديك الرومي المشوي والذي يعتبر تقليدًا في يوم عيد الشكر. تلا أووين الصلاة قبل الأكل وحسب ما فهم عزيز فقد قال:

"اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار". وردد الجميع "أمين".

سألت كيت عزيز عن اسمه الكامل، أجابها بأن اسمه هو (عبد العزيز)، وبالكاد نطقت كيت به. أخرج عزيز قلمًا من جيبه وكتب على المنديل الورقي اسمه باللغة الإنجليزية:

"Abdul Al-Aziz" -

نظرت كيت إلى الاسم المدون، وقالت:

- إنه اسم صعب، يجب أن نختار لك اسمًا مختصرًا يتكون من حرفين فقط.

أجاب عزيز:

- كان الجميع ينادونني مستر (جوردان) ولكن بعد حادثة البنك تخلت عن هذا اللقب.

قالت له كيت:

- ما رأيك أن نناديك (زو)، "Zo"؟

- لا، (زو) لا يعجبني هذا الاسم فهو مشتق من زورو، أو من حديقة الحيوانات.

اعتذرت كيت عن هذا التشبيه غير المقصود، وقالت له:

- أتوقع أن اسم (زي) "Ze" جيد ومقبول. إنه يناسبك جدًا.

اعترض على الاسم بحجة أنه من مشتق من اللاتينية ويعني "يعيش"، وأطلق على أشخاص كثيرين.

نظرت كيت إلى منديل الورق الذي كتب عليه اسمها، ابتسمت وقالت العبارة الشهيرة "وجدتها"، سيكون اسمك "AZ".

أجاب عزيز بأن الاسم يبدو موسيقيًا، ولا يمانع في ذلك على الرغم أن كل من يناديه سوف يقول له: "أخبرنا من الألف إلى الياء".  
النفث أووين إلى عزيز وسأله إن كان لاسمه أي معنى في اللغة العربية؟

- نعم، إنه أحد أسماء الله 99 الحسنی.

- للمرة الأولى أعرف بأن الله له 99 اسمًا. هنا عندنا اسم واحد للخالق، وأحيانًا عند الشدة والمحن ندعوه (لورد).

بدأ عزيز يتحدث عن أسماء الله الحسنی، وأنها منتشرة في كل أنحاء العالم ولكن لا أحد يعلم أو يشعر بها. نظر إلى أووين، وقال سأقرب لك الموضوع أكثر:

- هذا القميص الذي أرتديه اشتريته قبل أسبوع وكان السعر المكتوب عليه هو مبلغ 9.99 دولار. لماذا لم يكتبوا ثمنه 10 دولارات، مع أنني دفعت ثمنه عشرة دولارات ولم أحصل على البنس خاصتي؟ رقم 99 له سحر خاص يجعلك تنسى بقية الأرقام وبمجرد أن تنظر إليه تشعر براحة وسعادة لا مثيل لهما، يجذبك إليه لا إرادياً، وبناء على ذلك يمكن أن تقيس. وسوف أعطيك مثالاً آخر:

- يعتبر رقم الطوارئ "911" رقمًا عالميًا ويستخدم في جميع بلدان العالم للجميع وحتى هنا في الولايات المتحدة. الرقم "1" من اليمين يشير بأن تطلب العون من الله الواحد الأحد، بينما الرقمان "91" هما للاستغاثة وطلب النجدة باستخدام "91" اسمًا من أسماء الله الحسنی.

رفع أووين حاجبيه إلى الأعلى بدهشة! و سأله:

- وأين الأسماء الثمانية المتبقية؟
- تُترك الأسماء الثمانية المتبقية للأشخاص الذين يسخرهم الله لمساعدتك في محنتك, مثل الأطباء والمرضات والمسعفين ورجال الإطفاء والمحامين...الخ. لاتحتاج لأكثر من ثمانية أشخاص عندما تكون في محنة أو مصيبة لانتشالك منها.



-12-

أبو الطورو وأم الطورو

كان أبو الطورو وأم الطورو يعيشان بسلام و حياة ريفية هادئة في إحدى القرى الأردنية النائية. فمعظم أهل القرية لا يعلمون أسماءهم الحقيقية. يخرج أبو الطورو مع طلوع الشمس ومعه فدانه لحراثة الأرض وزراعتها، وتبقى أم الطورو في البيت للاعتناء ببعض الأغنام، وفي المساء تنتظر عودة زوجها أبو الطورو لتقدم له طعام العشاء، ويخبرها عن معاناته مع الحراثة بسبب كبر سن الثيران وهو بحاجة لبعض الدنانير زيادة على ما ادخره. وتجيبه زوجته لتخفف من معاناته:

- لا تخف يا أبو الطورو. الدنانير مخبأة في مكان آمن، فحين تحتاجها أخبرني.

- أنا واثق بك يا أم الطورو، الله لا يحرمني منك.

في أحد الأيام وصل أبو الطورو إلى المنزل مع غروب الشمس كعادته، واستغرب عدم وجود أم الطورو على عتبة الباب لتستقبله. ليس من عادتها أن تفعل ذلك. تسلل الخوف إلى قلبه فربما حصل لها مكروه لا سمح الله، قال بصوت خافت "يا رب استر". أسرع إلى الباب ليجده موصدًا، وبدأ يطرق على الباب وينادي بأعلى صوته:

- وينك يا أم الطورو. افتحي الباب، أنا أبو الطورو. فلم يجبه أحد.

سأل جيرانه عنها والكل أجاب بأنهم لم يروها. عاد إلى قرع الباب بقبضته وبكل قوته وهو يصرخ بأعلى صوته:

- أين أنت يا أم الطورو؟ افتحي الباب.

وأخيراً فتحت نصف الباب وهي تنبسم. وقال بصوت عالٍ مملوء بالغضب:

- أين كنت طوال هذا الوقت؟ تعبت يداي وأنا أطرق الباب، لقد بُح صوتي وأنا أصرخ وأنادي عليك.
- لقد سمعت طرق الباب وصرارك وأنت تنادي يا أم الطورو.
- لماذا لم تفتحي الباب يا أم الطورو؟
- أنا لم يعد اسمي أم الطورو. اليوم أتى بائع الأسماء واشتريت منه اسمين، واحدٌ لي والآخر لك. لا يعجبني أبداً أن تناديني أم الطورو أو أناديك بأبي الطورو. لقد اخترت أجمل اسمين.
- اخترت اسمًا لي: "حرير على بدن"، واسمًا لك: "عسل مع لبن".

لم يصدق أبو الطورو ما يسمعه، منذ متى تُباع الأسماء؟! كل شخص يولد واسمه معه:

- ما شاء الله يا "حرير على بدن" وكم سعر الاسم؟
  - اشتريتهم بسعر خاص يا "عسل مع لبن"، كل اسم بدينارين.
  - ومن أين أحضرت أربعة دنانير؟
  - من المال الذي وفرناه لشراء ثيران، الله يفرجها علينا تشتري أحسن ثيران. الدنيا لا تسعني من شدة الفرح.
- لم يستطع أبو الطورو أن يتمالك غضبه؛ فصرخ في وجهها:
- سيبقى اسمي أبو الطورو، ولن أستبدله باسم "عسل مع لبن". أنا محتار ماذا أفعل بك؟ هل أضربك ضرباً مبرحاً؟ ولكن ماذا يفيد

ذلك! وهل أطلقك أم أطرذك من المنزل؟ وماذا يفيد أيضاً!  
وضعتني في حيرة كبرى يا "حرير على بدن". قالها بتهكم.

نظر إليها شزراً، وقال:

- اسمعي يا امرأة، سوف أتركك وحيدة لا تذهبي إلى أيّ مكان  
حتى عودتي لأقرر مصيرك. أريد أن أجوب بلاد الله الواسعة  
ولن أعود إليك إلا إذا وجدت امرأة أغبى منك.

ومع بزوغ الشمس، حمل أبو الطورو زواته على ظهره متدلية من  
طرف عصاه التي استرخت على كتفه الأيمن، وبدأ يعلل نفسه  
ويهيجن بالقصيدة الشائعة في بادية الشام:

سميت باسم الله والصبح مديت باب الكريم وباب خير قصدنا  
والبارحة كثرن همومي وجظيت جظيت من دهر الزمان الرصدنا

وتابع أبو الطورو سيره، وعند الظهرية أطل على مجموعة من بيوت  
الشعر منصوبة بمحاذاة بعضها، اقترب منها ولم يرَ رجالاً يجولون  
بين البيوت باستثناء العديد من النسوة يمارسن عملهن البيتي الروتيني  
كل يوم. اقترب أكثر من أكبر البيوت. لا بد أنه بيت الشيخ. دنا من  
منه، وإذا بصوت امرأة تقول له:

- تفضل يا ضيف الرحمن، هذا بيت الشيخ.

جلس أبو الطورو في الشق المخصص للضيوف، وأقبل عليه خادم  
البيت ليسكب له القهوة. سأله أبو الطورو عن الشيخ، فأخبره الخادم  
بأن الشيخ نوفان توفي منذ أكثر من سنة، وخرج ابنه مع رجال

القبيلة للصيد وسوف يعودون مع مغيب الشمس. أتت زوجة  
المرحوم الشيخ نوفان لترحب بالضيف وسألته:

- من أين أتيت يا ضيف الرحمن؟

عدل أبو الطورو جلسته، وحك لحيته، وأجابها:

- أنا قادم من عند الأموات، أنا والشيخ نوفان نسكن في نفس  
القصر.

فرحت الشيخة العجوز فرحًا شديدًا وردت:

- الحمد لله أنك قادم من عنده، خبرني عنه. وبدأت تسأل عن  
أحواله، وكيف هو؟ وما هي أحواله؟

نظر إليها أبو الطورو بفرح، فكم هي مشتاقة لسماع أخبار  
المرحوم، وقال لها:

- شيخنا بحالة ممتازة، ولكنه أخبرني بأن أحضر له فرسه وسيفه  
وبعضًا من قطع الذهب. هو لا يستطيع الحركة كثيرًا من دون  
فرس.

أمرت العجوز الخادم بأن يجهز الفرس وكل ما يطلبه الشيخ،  
وانتشر الخبر بين النسوة بأن هذا الرجل قادم من عند أمواتهم،  
وهلت النسوة على أبو الطورو، وكل واحدة تسأل عن زوج أو أب  
أو أخ وهو يجيب ويذكر طلباتهم من أموال ولباس وسلاح. جمع  
أبو الطورو الكثير وأخبرهن بأن عليه العودة إليهم وتسليمهم  
الأمانات. انطلق ممتطيًا سهوة الفرس والخروج ممتلىء بالذهب.  
وعندما عاد رجال القبيلة وعرفوا بالأمر، أخذوا يلومون زوجاتهم

على هذا الغباء؟ منذ متى يأتي زائر من عند الأموات؟ وقررت مجموعة من الفرسان أن تلحق بهذا المحتال، وأشارت النسوة إلى الطريق التي سلكها مغادرًا.

شعر أبو الطورو بالتعب وقرر أن يستريح بجانب السيل حتى يشرب هو وتشرب الفرس. سمع صوت سهيل خيول قادمة نحوه، وبلمح البصر قام بإخفاء الفرس وما تحمل خلف الصخور الكبيرة. خلع نعله البالي ومدد قدميه في ماء السيل. اقترب منه الفرسان وسأله أحدهم إن كان قد رأى شخصًا يركب فرسًا أصيلةً وعليها خرج، فأجابهم:

- نعم رأيته منذ فترة وجيزة يعبر السيل من ذلك الجانب.

التفت قائدهم إلى فرسانه، وقال لهم:

- هيا يا رجال نلحق به قبل أن يصبح بعيدًا عن متناول أيدينا.

اقترب منه أبو الطورو، وبكل هدوء وبلهجة الناصح لهم، قال:

- أيها القائد، أعتقد أنكم لن تتمكنوا من اللحاق به وأنتم على

خيولكم، أنصحكم بأن تلحقوا به سيرًا على الأقدام.

أجابه القائد بأن الخيول أسرع للوصول إليه. صمت أبو الطورو

برهة، ثم قال:

- الذي تقوله أيها القائد ليس صحيحًا أبدًا. كل فرس لها أربع أرجل

بينما كل فارس منكم له اثنتان. تخيل كل فرس تمد قدمها الأولى،

ثم الثانية، وبعدها الثالثة، وتتبعها الرابعة. بينما كل منكم يمد

قدمين، بمعنى بأنكم تضاعفون المسافة للوصول إليه أكثر من

ركوب الخيل. سوف أقوم بحراسة خيولكم حتى تعودوا بعد  
القبض على هذا المحتال.

اقتنع الفرسان بفكرة أبو الطورو، وأخبروه بأن خيولهم أمانة عنده  
حتى عودتهم.

لم يستطع أن يتمالك نفسه من الضحك وصرخ بأعلى صوته:  
- حتى الآن نجحت يا حريير على بدن.

سار أبو الطورو في طريقه ومعه مجموعة الخيول، رأى عن بعد  
رجلاً يحرث أرضه، ذهب إليه، وبعد السلام أخبره بأنه تاجر  
خيول وجميع الخيول التي بحوزته عربية أصيلة. اقترب من  
الرجل، وقال بصوت مرتفع:

- لا أعلم كيف تحرث على هذه البغال الكسولة. أنا، والله، أشعر  
بالأسى من أجلك. يجب أن تحرث أرضك على خيول أصيلة  
وسوف تلاحظ الفرق في المحصول، تخلص منها، فالبغال جيدة  
فقط لجلب الماء وحمل الحطب. أنا زرت بلدانًا كثيرة والكل في  
وقتنا الحاضر لا يحرث إلا على خيول أصيلة.

شعر الرجل المسكين بالإحراج من سماع هذه الأخبار وأنه ما زال  
يحرث على البغال. ونظر إلى أبو الطورو وأخبره بأنه لا يملك  
ثمن خيول أصيلة.

- أنا لست طماعًا أبدًا. همي الوحيد مساعدة المساكين والمحتاجين  
ويبدو بأنك رجل طيب القلب، سأقبل بما تدفعه من ثمن.

شعر الرجل بإحراج أكثر. دنا من أبو الطورو، وقال بصوت خافت:

- أنا لا أملك المال، ولكن أعرض عليك بأن أزوجك أختي ومهرها الخيول التي أحتاجها.

قبض أبو الطورو على لحيته، وأخذ نفساً عميقاً:

- أنا أقبل بهذا العرض، ولكن أنا في عجلة من أمري يجب أن أتزوج هذه الليلة. هيا أحضر الشهود.

بدأ أبو الطورو بالصراخ في منتصف الليل:

- لقد سرقوا أبنائي، الحقوني يا ناس سرقوا فلذات كبدي مني.

أسرع أخو العروس إليه وسأله عن سبب صراخه في منتصف الليل.

رد عليه أبو الطورو بصوت عالٍ:

- إنها أختك. لقد سرقت أبنائي، هي اعترفت بعظمة لسانها وقالت: "أعطيتني ماء الحياة الذي يحتوي على أبنائك". هذه سرقة ولن أسمح بها أبداً.

بدأ بعض سكان القرية بالتجمهر حولهما. دنا منه أخو العروس وأخذ يهدئ من روعه وطلب منه أن يخفض صوته، وأن يستر على الأمور ويمكن حلها بالتفاهم. ولكن أبو الطورو استمر بصراخه واتهمه بالتآمر مع أخته على سرقة أبنائه:

- هذه خيانة ولن أقبل بها. أعيديوا لي كل ما أخذتموه أيها الخونة  
وكذلك البغلان، وذهب العروس حتى أستتر عليكم وأصفح عنكم.  
ولم يكن أمامهم أي خيار آخر.  
شد رحاله نحو قرينته وهو ينادي: "عسل مع لبن، أنا قادم إليك يا  
حرير على بدن".



-13-

"بَخْزِي" يا روزا

كنت جالسًا في أحد المقاهي أدخن الأرجيلة في أحد أيام رفع الحظر بسبب جائحة كورونا.

ثم جاء أحد الأصدقاء وجلس قبالي وبدأ ينظر إلى هاتفه المحمول بتمعن وروية.

تمتم بكلام مسموع: "سبحان الله، الخالق الناطق، هذه الصغيرة تشبه أمها تمامًا". في الحقيقة، لم أحاول التطفل على أسرار العائلة، فهذه من الخصوصيات. رفع نظارته على رأسه والتفت نحوي، وقال:

- انظر يا أبو العليمات، بالله عليك ألا يشبهان بعضهما؟

نظرت إلى شاشة هاتفه المحمول، وإذا بها صورة لكلبة وبجانبها جرو صغيرة. ضحكت بصوت عالٍ، منذ أزمة الكورونا لم أضحك بهذا الشكل. ابتسم، وقال:

- هذه صورة الكلبة روزا وهذه صورة ابنتها مارلين. نفس الشبه سبحان الله، ويا رب تطلع ذكية مثل أمها.

- ومع استمرارني بالضحك ولا شعوريًا أجبته:

- إن شاء الله يتربوا بعزك. ولكن أرغب أن أعرف لماذا تتصف روزا بالذكاء؟!

- لقد علمتها إطاعة الأوامر، وألا تعصي لي أمرًا.

ومن باب الفضول سألته:

- وبأي لغة تخاطبها؟

- طبعًا باللغة الإنجليزية.

قلت له ضاحكًا:

- أكيد لغتها الإنجليزية أقوى من لغتك. ولكن أنا مستغرب، لماذا لا تعرف العربية؟

- لا تحفّ عليّ أبو العليمات، ولو أنا ذبيك، علّمتها كلمة عربية واحدة.

- وما هي هذه الكلمة؟

- كلمة واحدة تعرفها من اللغة العربية وهي كلمة "بَحْرِي".

لم أتمالك نفسي من كثرة الضحك، حتى دمعت عيناوي وسكبت القهوة على قميصي.

- لماذا تضحك؟ يبدو أنك لا تعلم معنى كلمة "بَحْرِي"!

في الحقيقة يا صديقي لم أسمع بهذه الكلمة منذ أربعة عقود خالّت. كنا في المدرسة في الصفوف الثلاثة الابتدائية الأولى نستعملها بكثرة. كان العدد المخصص للطلاب في الصف خمسة وأربعين طالباً، ولكن من كثرة أعداد الطلبة قد يصل عددهم إلى خمسة وستين. كان من المفروض أن يجلس كل ثلاثة طلاب في "بنك" أو كما كانوا يسميه معلمونا الأجزاء من الضفة الغربية "رحلاية"، والذي يتم قبوله في الصف متأخراً يجب أن يحضر معه لوحاً من الخشب يضعه على حافتي بنكين وعند المغادرة يحمله معه. كنا نجلس أربعة معاً، والشاطر منا من يسبق أولاً والمتأخر ينادي "بحز" أو "بحزوا لي".

وقل استخدامهما من الصف الرابع إلى الصف السادس الابتدائي، واختفت عندما وصلنا المرحلة الإعدادية. والآن "بحز" لي يا صديقي، أريد العودة إلى المنزل.



-14-

الشيخ والمسدس

شعر أحد شيوخ القبائل بوعدة خفيفة وتلبك في المعدة يصاحبه احتباس وشح في البول، وعدم الرغبة في ممارسة الجنس. أشار المقربون منه عليه أن يذهب إلى مستشفى الملك المؤسس للكشف وبيان العلة. وفي اليوم التالي، استيقظ باكراً ولبس لباسه العربي الجميل، ووضع العباءة على كتفيه، وعلى خاصرته اليسرى وضع المسدس المصنوع من الجلد والمرصع بالفضة في غمده مغطياً رأسه بالشماغ الأحمر، والعقال الأسود مائل نوعاً ما فوقه. وصل المستشفى واتجه نحو الاستعلامات ووصف لهم حالته الصحية، فنصحوه بأن أفضل طبيب عندهم لهذه الحالات هو أخصائي المسالك البولية.

دخل الشيخ إلى عيادة الطبيب وطلب منه أن يخلع العباءة، والمسدس، والشماغ حتى يفحصه سريراً، وطلب منه أن يستلقي على السرير. وبعد المعاينة أخبره الطبيب بأن هناك احتمالاً كبيراً بأنه يعاني من التهاب البروستات. ولكن لمزيد من التأكد، يجب إجراء الفحص الروتيني الاعتيادي لمثل هذه الحالات. سأله الشيخ:

- ما نوع هذا الفحص يا دكتور؟
- الفحص بسيط جداً، فقط وضع الأصبع الأوسط في المقعدة.
- العياد بالله، قالها الشيخ مندهشاً.
- هذا هو الإجراء المعتمد عالمياً في مثل هذه الحالات.
- وهل هناك إجراء آخر؟

أجابہ الطیب بالنفی، وأنہ قام بعمل ہذا الإجراء لكثیر من الوزراء والنواب. وبعد تردد وافق الشیخ علی طلب الطیب. وبعد الانتهاء، أخبره الطیب بأنه قد تم التأكد بأنه يعاني من التهاب البروستات الحمید، وصف له الأدوية الخاصة لمثل هذه الحالة، وقام الشیخ بارتداء ملابسه ثانية وخرج من العيادة. تناهى إلى سمعه صوت: "یا شیخ، یا شیخ". التفت إلى الخلف ورأى الطیب یركض نحوه:

- یا شیخ لقد نسیت مسدسك فی العيادة.

- أنا لم أنسه یا دكتور. ولكن لم أعد بحاجة للمسدس بعد الآن.



-15-

أحلام اليقظة

حضر إلى المقبرة جمهور غفير من المحبين والمشيعين للحاج أبو محمود، فقد كان من تجار جرش القلائل الذين يُشهد لهم بالأمانة والاستقامة، وكانوا يلقبونه بشاهبندر تجار جرش. وبعد الانتهاء من خطبة المقبرة والترحم على الميت والدعاء له، ظهر شاب في أول الثلاثينات من عمره، وبدأ في مدح المتوفى وذلك بذكر خصاله الحميدة، والترحم عليه، والتفت يمناً ويسرة سائلاً:

- أين هو محمود ابن المرحوم؟

دنا منه شاب في مقتبل العمر وعلامات الحزن بادية على محياه والتراب يغطي وجهه، وأخبره بأنه محمود.

دس الرجل يده في جيبه وأخرج رزمة من النقود، وصاح قائلاً:

- يا جماعة أنا عبد المحسن أمين، ومكتبي الاستثماري على دوار باب عمان. جاء الحاج المرحوم أبو محمود إلى مكتبي قبل أقل من شهر وقرر أن يستثمر معي مبلغاً قيمته ألف دينار، الحمدلله ومن توفيقه كان الربح الصافي أربعمائة دينار، ما عدا رأس المال. اشهدوا يا جماعة بأني سلمت كامل المبلغ لابنه محمود.

بدأ الرجال ينظرون إلى وجوه بعضهم تعجباً من هذا الربح السريع، وبدؤوا بالتدافع والذهاب إلى منازلهم دون تقديم واجب العزاء، فقد قاموا بجمع مدخراتهم وذهب نساتهم وبناتهم، وأخذوا يرددون: "وينك يا مكتب عبد المحسن أمين"!

## المؤلف في سطور

سليمان العليمات من مواليد قرية الزنية التابعة لمحافظة المفرق. حصل على درجة البكالوريوس في الصيدلة من جامعة أرسطو اليونانية عام 1980 ودكتوراه في العقاقير وكيمياء النواتج الطبيعية من جامعة بيتسبرج بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1986. وقد نشر أكثر من 90 بحثاً علمياً في مجلات علمية مرموقة. في عام 2004 ، تم اختياره كباحث متميز في العلوم الطبية ، وهي جائزة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الأردنية. وتم منحه شهادة شرف من جامعة سوكا اليابانية. كما أنه يستمتع بكتابة الروايات ذات الخيال العلمي والتحويلات الأسطورية مع إبرازها في العالم الحديث. نشر سبع روايات باللغة العربية وتم ترجمة اثنتين إلى اللغة الإنجليزية حتى الآن. ويعتبر كتابة الروايات حالة من التمرد السلمي. يعمل حالياً أستاذاً في كلية الصيدلة في جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية.

